وجه على جدار فرعوني

عنوان الكتاب: وجه على جدار فرعوني
الموضوع: رواية
التأليف: حمادة الكاشف
مراجعة لغوية: سواح للخدمات عبر الإنترنت
الإخراج الفنيّ: عمرو سالم سواح
تصميم الغلاف: عبد القادر محمد
رقم الإيداع: 2019/28591
الترقيم الدولي: 978-977-844-094-2
الناشر: دار الزيات للنشر والتوزيع
Facebook Page: دار الزيات للنشر والتوزيع
E_mail: shahnda71@gmail.com
مجلس الإدارة/ د.شاهندة الزيات
المدير العام/ أ.محمود محروس إبراهيم
Tel: 01066736765
01011122429

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة © لدار الزيات
المشهرة قانونًا بسجلّ تجاريّ رقم /٤٩٣٥١

لا يحق لأي جهة طبع أو نسخ أو بيع هذه المادة بأي شكل من الأشكال ومن يفعل ذلك يعرض نفسه للمساءلة القانونية

رواية

وجه على جدار فرعوني

الكاتب

جمادة الكاشف

الإهداء

إلى روحك أبي.

إليك وقد أورثتني ما أنا عليه من معانٍ تحمل ماذا

يعني أن تكون رجلا

أحبك أبي ولطالما تمنيت أن أستطيع يوما أن

أراك؛ فلا أذكر إلا أني فقدتك وأنا طفل صغير

لا يعي من الدنيا شيئا.

أهديك روايتي ليحمل فحواها كل حبي وشكري.

مُقَدِّمَة

لست أدري ما دار بخلدي وأنا أكتب تلك الرواية التي تربط سلاسل الحاضر بحلقات من الماضي السحيق.

ربما هو شوقي اليائس لرؤية أبي الذي افتقدته طفلا صغيرا وما زلت.

ربما وجدت نفسي ذلك الطفل الصغير ((هشام)) داخل جنبات هذه الأوراق أو هو شغفي بتلك الحضارة الفرعونية بما تحمله من غرائب وتساؤلات حار فيها كل مؤرخي العالم.

حاولت جاهدا البحث والتدقيق لأجلب لكل شخصية اسمها الحقيقي من تاريخنا الفرعوني وما أحاط بها من كهنة وقواد سردت بطولاتهم على جدران المعابد وأسطح البرديات.

أحداث جرت بالفعل على أرض واقعها رابطا كل ذلك ببطل الرواية الرئيسي الطبيب (محمود).

عسى ألا أكون قد أقحمت تلك النظريات العلمية التي بنيت عليها روايتي بطريقة تزعج بطريقة ما أصحاب العقول العلمية أو دارسيها.

كل ما أردته أن أجعل قارئي يعيش ذاك الحلم البعيد حلم السفر الزمني الذي لا أعلم أكان حقيقة أم خيالا، متاح أم هو أحد المحرمات التي وضعها الله للحفاظ علينا واستمرار ذلك الكوكب الضئيل في تلك المجرة التي لا تقرب أن تكون قطرة في بحر ملكوت الله؟

ماذا لو لجأت لفراشك ليلا بمنزلك الصغير لتستيقظ في عصر آخر أو زمن مخالف؟

من منكم قادر على أن يحتوي تلك الكوارث والمفاجآت التي يمكن أن تدمر أعتى عقدنا العصبية؟

ففي عام ٢٠٠٧ غادر (جيم غراي) العالم بقواعد البيانات المشتركة بشركة مايكروسوف خليج سان فرانسسيسكو على متن قاربه السريع ومعه أحد أصدقائه واختفى في ظروف أغرب من الخيال رغم أن القارب كان راسيا في مياه ضحلة.

وفي عام ١٧٦٣ كان البحار العقيد (أوين بارفيت) عند أخته جالسا معها في شرفة منزلها قبيل غروب الشمس وذهبت للداخل لتنهي أعمالا لها وعند السابعة مساء عادت إليه لتجد الغطاء ولا أثر لأخيها القعيد المشلول.

وفي عام ١٨٨٠ تحرك ذلك المدعو (ديفيد لانغ) متفقدا حقول مزرعته أمام أعين عائلته واثنين من أصدقائه اللذين اقتربا منه لإلقاء التحية وما إن اقتربا حتى اختفى فجأة من أمام أعينهم وبحث عنه الجميع لأيام متوالية دونما فائدة وظلت البقعة التي اختفى فيها جرداء لا ينبت فيها عشب.

كثيرة ومتعددة وغير متناهية هي تلك الحوادث والمشاهد التي احتارت عقولنا العاجزة على مر تاريخها في فهم فحواها أو تفسيرها.

وها هي روايتي بين أيديكم راجيا من الله أن تنال ولو قدرا ضئيلا بما يربطكم دوما بما أكتب.

المؤلف

الفصل الأول

علت الهتافات في ذلك الميدان الواسع وآلاف الناس تتزاحم متطلعين في إجلال وخنوع لذلك الموكب المهيب الذي تتقدمه عربات حربية لم تكن معروفة للمصريين من قبل حيث كانت نتاج ذلك الاحتلال الهكسوسي لمصر.

كانت عجلة حربية تتقدم كل ذلك الموكب يمسك زمام خيلها فتى لم يتجاوز التاسعة عشرة من عمره تبدو عليه ملامح القوة والصرامة وهو يرفع يده اليمنى ليرد هتافات المصريين المرددة باسم (نب - بتي- رع) الفرعون أحمس.

كان عدد كبير من أفراد الجيش يتطلع في سعادة إلى ذويهم وهم قافلون من معركتهم الأخيرة مع الهكسوس تلك المعركة التي سيخلدها التاريخ فيما بعد. معركة أواريس وما تلاها من معارك أخرى عندما حاصرهم أحمس في حصن شاروهين وفتت شملهم.

ترجل أحمس وأسرع إليه قائده الأول أحمس بن أبانا وسار الاثنان وفي انتظارهم كهنة آمون برؤوسهم الحليقة وأجسادهم المكتنزة وتلك العصي المخيفة بأيديهم التي يزينها بأعلاها مجسم لثعبان الكوبرا المصرية.

تقدم الكهنة في خنوع وهم يحنون رؤوسهم للملك الإله في عقيدتهم. وعلى رأسهم الكاهنان "تحوتي " و"مين منتو" فأردف

الأول قائلا: رعاك ست وحورس مولاي الإله.

أومأ الفرعون الصغير برأسه وكأنه يرد تحيته في صرامة لا تتناسب وصغر سنه ثم أفسح له الكهنة الطريق وثلة من الجنود الضخام يحيطون به نافري العضلات عراة الصدور حاملين رماحهم موجهة في توجس إلى الجموع الغفيرة وقائده أحمس أبن أبانا يسير خلفه متطلعا حوله في حذر فقد تعرض مليكه لأكثر من محاولة اغتيال؛ فهو بالنسبة له ليس مليكه وإنما هو الأخ الأصغر منذ خدم تحت قيادة أخيه الملك كاموس ومن قبلها أبوه الفرعون سقنن رع.

اتجه أحمس نحو العرش الذي تزين جانبيه الأعمدة اللوتسية المنقوشة ببطولات أبيه وأخيه ورفع يده في حدة، فصمت آلاف الناس وقلوبهم لا تصدق بزوال ملك هؤلاء الطغاة ملوك الهكسوس.

قال أحمس وصوته يتردد في ذلك الميدان الواسع بطيبة القديمة:

(استطعنا هزيمة الهكسوس بفضل الإله ست رب مصر العليا والإله حورس رب مصر السفل، أصغوا يا أهل الوجه القبلي ويا رجال الدين ويا أهل الوجه البحري، يا أيها الناس جميعا.. أثنوا

على ملككم مثل ثنائكم على القمر فهو ملك الوجه القبلي والبحري (نب – بتي – رع) الذي يضع الأغلال في كل أرض أجنبية)

تعالت الهتافات تردد اسمه في قوة ولكنه أشار بيده مرة أخرى فصمت الناس ليستكمل حديثه قائلا: دعوني أوجه العرفان لذلك الجندي الذي استطاع أن يأسر أحد أمراء الهكسوس ويستولي على عربته الحربية. حيوا معي الأمير أحمس بن أبانا ابن طيبة البار ولما فعله في حصار شاروهين. تعالت الهتافات وتقدم أحمس بن أبانا يرد تحية الناس.

وفي خضم هذه الهتافات لم ينتبه الجميع لتلك النظرات الحاقدة التي تتلاقى في فهم واضح بين الجموع الغفيرة لمجموعة من المتآمرين من بقايا مؤيدة لوجود الرعاة في البلاد.

تتابعت نظراتهم في حذر وبدأت خطواتهم تتلاقي في نظام سابق وهم يتناقلون شيئا ما من يد لأخرى وكأنهم يخترقون الجماهير بتسليم ما يريدون من شخص لآخر.

بدأت سلسلتهم الطويلة المعدة بإحكام تقترب من سياج الحراس المحيطين بالفرعون المنتصر وعلى الرغم من انشغال الجميع بالاحتفالات بما فيهم الملك نفسه الذي وقف متحديا توجيهات حراسه فإن أغلب الحراس الأشداء كانت أعينهم تتنقل

في حذر وشراسة بين جموع الشعب الفرح في براعة يحسدون عليها وقد تراشق العديد منهم على أسطح المعبد ممسكين أقواسهم مشدودة بسهام حادة تنتظر ما يريب لترتخي أوتارها حاملة معها الموت لمن تسول له نفسه الاقتراب من الفرعون الصغير.

وبدا أن خطة هؤلاء المتآمرين قد اكتملت ورتبت بإتقان خاصة بعد تلاقي عيني آخرهم بذلك الحارس الضخم الذي يولي ظهره للفرعون وظهر جليا أنهم يعتمدون في تنفيذ خطتهم على خيانة أحد الحراس المقربين للفرعون.

وعلى الرغم أن كل شيء بدا على ما يرام خاصة مع وجود الحراسة المكثفة فإن أحمس ابن أبانا كان يشعر بهاجس غريب أحاط به في قوة كان عمله كقائد أول لجيوش الملك وكقائد سفنه الأعظم كما لقبه التاريخ يجعله دائما حذرا قلقا رغم كل ما يحيط بالملك من أمان تام.

ظهر التوتر واضحا في نظراته الحادة الصارمة وأعينه تضيق رويدا رويدا حتى كادتا أن تختفيا من وجهه النحيل وهو يدور حوله محاولا إقناع نفسه أن كل شيء على ما يرام دون فائدة فأمسك مقبض سيفه في قوة وقلبه ينبض في قوة معلنا أن خطبا ما سيحدث وكان حاسته الحربية هي ناقوس الخطر الذي يدق عندما تعجز حواسه الفعلية عن إدراك أخطارها.

حانت منه التفاته إلى الحراس المحيطين بالفرعون ليمنعوا تدفق المحبين له من بلوغه وكأنه يطمئن على قيامهم بواجبهم، وقطب جبينه في قوة وقد لفت انتباهه ذلك التوتر والحركة اللا إرادية لأحد الحراس الذين يولونه ظهره فاقترب أحمس في بطء وحذر وما إن تحرك بضع خطوات باتجاهه حتى سقط الحارس فجأة وبلا مقدمات وهو يتلوى صارخا، فالتفت الحراس في سرعة وهم يسرعون للاطمئنان على رفيقهم وقد تناسى بعضهم موقعه في حراسة الفرعون.

وفي خضم ما يحدث وانشغال الجميع بالحارس المدعي للمرض لمح أحمس أحد المتآمرين متقدما في سرعة انتحارية رافعا ما يشبه الخنجر مستغلا انشغال من حوله وكان قاب قوسين أو أدنى من الجانب الأيمن لجسد الفرعون، فاندفع أحمس بن أبانا كليث جبلي شاهرا سيفه دافعا من حوله من حراس صارخا: أنقذوا الفرعون.

فالتفت الحراس وقد أدركوا الخديعة والخنجر يشق الهواء مندفعا نحو عنق الملك.

أدرك أحمس بن أبانا بعقليته الحربية المتمرسة أن المسافة بينه وبين الفرعون تجعله عاجزا عن إنقاذه فتحركت يداه بكامل قوتها ليلقي بسيفه مخترقا ذلك الفراغ الضيق بين العديد من

الحراس ليرتشق بقوة في الجانب الأيمن لعنق القاتل قبيل أن يهوي بخنجره بفارق أجزاء من الثانية ليندفع جسد ويرتطم بأحد جدران المعبد ساقطا ونافورة من الدماء الساخنة تندفع لتغرق وجه الفرعون الذي تفاجأ بالأمر والحراس يسرعون ليصنعوا دائرة بشرية حوله في إحكام رافعين دروعهم لأعلى ليختفي تماما فيما بينهم متحركين به نحو بوابة معبد آمون بطيبة حتى ابتلعتهم بوابة المعبد وسط آلاف من صرخات الاستهجان من طوائف الشعب الغاضبة لمحاولة اغتيال فرعونهم المنتصر.

وما إن اطمأن أحمس بن أبانا على مليكه الصغير حتى أسرع نحو الحارس الذي ادعى السقوط والمرض ولكنه لم يجد أثرا له فالتفت وهو يحدق في الجموع المنصرفة وعيناه تكادان تخرجان من محجريهما ولكن هيهات فقد ابتلعته الجموع ليختفي مع العشرات من المتآمرين الموالين لعودة الرعاة إلى حكم البلاد. ولم يلتفت إلى أقرب الرجال إليه الذي تحرك في حذر مبتعدا عنه ناظرا إليه في حقد لاعنا ذلك الملاك الحارس والأسد الجسور أحمس بن أبانا.

*****

تحركت سهام مذهولة وهي تتطلع إلى تلك الآثار الفرعونية القديمة بمعبد الكرنك بمدينة الأقصر ثم التفتت إلى زوجها الطبيب وهي تحتضن صغيرها الرضيع (هشام) الذي لم يتجاوز عمره العام قائلة:

-جميلة حضارة الفراعنة يا محمود. كيف استطاعوا بناء كل هذا؟!

تطلع إليها محمود في حب واضح مجيبا:

-هؤلاء هم المصريون منذ قديم الزمن يا سهام تعجز العقول عن فهمهم.

ثم تطلع إلى بهو الأعمدة وهو يشير إليها قائلا:

-النحت المعماري وتلك الألوان ركبت بطريقة احتار معها العلم الحديث حتى يومنا هذا.

أومأت سهام برأسها وهي تتطلع في قلق إلى تلك السحب التي بدأت تتراكم في كبد السماء دون سابق إنذار وهي تهتف:

-محمود يبدو أنها ستمطر. قالتها ثم التفتت إلى صغيرها (هشام) وهي تشعر بالقلق عليه.

رد محمود في سرعة مشيرا للعديد من الأفواج السياحية التي تنتقل بين أرجاء معبد الكرنك:

-لا تخافي فخبراء الطقس أكدوا اليوم اعتدال الجو.

أومأت برأسها وسرعان ما تناست ما تشعر به من قلق وهي تنتقل من لوحة جدارية إلى أخرى حتى توقفوا أمام لوحة جدارية تبرز انتصارات أحمس على الهكسوس في معركة أواريس فالتفتت إلى محمود متسائلة عن معنى تلك النقوش والرسوم فابتسم محمود وهو يرد في سرعة:

-صدقيني على الرغم من أني وليد محافظة قنا فأنا لا أعلم شيئا عن التاريخ الفرعوني ولا لغته.

صمت قليلا ثم أكمل مردفا ضاحكا:

-لا أحفظ منها إلا كاني وماني وهي تعني عسلا وسمنا.

ضحكت سهام وهي تتطلع إلى زوجها الذي تجمعه بها قصة حب نادرة قل أن تستمر بعد الزواج الذي تخترقه سهام الرتابة المصرية الشهيرة وتلطمه أمواج الملل العالية

قائلة:

-أعلم فزوجي لا يعلم إلا في الطب.

قاطعتها نظراته الساخطة المستنكرة وهمت بإكمال عبارتها لولا دفقات المطر التي انهالت فجأة وبلا مقدمات مصحوبة بدوِيّ صوت الرعد الذي سيطر على أجواء المكان بلا مقدمات ولاحقته أضواؤه المفزعة وسيوفه تتهاوى متتالية وأيدي السماء تتساقط عبر زخّات من الأمطار التي بدأت تصب على رؤوس الزائرين فأسرع كل منهم يحاول أن يحتمي بسقف المعبد أو أحد الأعمدة.

أسرع محمود ليضع يده على وجه صغيره وكأنه يقيه من حبات المطر وهو يضع يده اليسرى على ظهر زوجته، ورجال الأمن وشرطة السياحة وكل مرشد بفوج منهمكون بتجميع الزائرين في سرعة ونظام يحسدون عليه. في الوقت نفسه ظهر التوتر واضحا على سهام فتطلعت في قلق زائد حولها وقد شعرت بهاجس غريب يشملها.

اختفى قرص الشمس خلف جيوش السحب التي توالت لتحاصر شعاع الحياة الذي يعطي للأرض دقاتها.

تحركت سهام وهي تحتضن رضيعها ومحمود يحيطها بذراعيه ويده اليمنى تلامس جبهه ابنه (هشام) وهم يقتربون من مخرج المعبد والريح تعصف في شدة في جو لم تشهده مصر من قبل. كان صراخ الصغير لا يكاد يسمع وسط كل ذلك الهول ولكن ما

طمأنها أن الفندق كان قريبا من المعبد فالتفتت لمحمود قائلة: الحمد لله أن.....

قطعت عبارتها فجأه وهي تشهق في عنف في التفاتتها البسيطة راعها ذلك الفراغ جوارها فلم يكن لزوجها محمود أي أثر. تلفتت سهام في توتر ملحوظ وهي تحاول اختراق حجب تلك العاصفة الشديدة وقطرات المطر تأبى عليها أن تفتح عينيها أو تسمح لها الرؤية بوضوح وضاع صوتها هباء بين دوي الرعد وصراخ رجال الأمن.

ساقها التزاحم حتى وصلت إلى باب المعبد وهي تحاول أن تتوقف دون فائدة تذكر وتوقفت أمام باب المعبد وهي تراقب الخارجين واحدا تلو الآخر وقلبها ينبئها أن خطرا ما أصاب زوجها وكأنما هي تلك الحاسة التي تملكها المرأة والتي توقظها ليلا للاطمئنان على وليدها دون سبب واضح. كانت النتيجة التي جعلت قلبها يسقط أرضا كأنما هي الضربة القاضية لقلبها المسكين فقد انتظرت طويلا دون أن يظهر لزوجها أي أثر.

فأسرعت إلى رجال الأمن الذين طلبوا منها سرعة الاتجاه إلى حيث تسكن وما إن أبلغتهم بما حدث حتى أسرع قائدهم في سرعة وأمر جنوده بالعودة إلى داخل المعبد والبحث لكن دون جدوى. مرت نصف ساعة كاملة حتى جاءها الضابط وهو يعلي صوته في

قوة بأن المعبد خالٍ تماما وأنه من المستحيل أن يبحثوا في كامل المعبد في هذا الجو العاصف وأنه من الممكن أن يكون سبقها إلى المنزل.

جال هذا الخاطر بفكرها وإن لم يسترح له قلبها ولكنها لم تجد احتمالا مبررا إلا ما قاله مع أنها تعلم جيدا أن زوجها لن يتركهما أبدا فأسرعت حتى وصلت إلى الفندق وصعدت حجرتها مسرعة وهي تتمنى من الله ألا يكون ما في خاطرها هو الصحيح وكانت المفاجأة. حجرة خالية تماما كما تركوها دون أن يكون هناك أي أثر لزوجها وشق صرختها المكتومة سماء الحجرة ولكنها سرعان ما لملمت مشاعرها وأسرعت لتستقل المصعد إلى الطابق الأرضي ومنه إلى الشارع وهي تجري كالمجنونة وابنها يترجرج في قوة بكل وثبة ملتاعة تحملها وصراخه يتعالى دون أن يسمع مع عصف الريح وهدير رعد العاصفة الغريبة وهي تحاول أن تجد الطريق لقسم الشرطة وكانت الشوارع تكاد تخلو من المارة واستطاعت بمساعدة النفر القليل من المتحركين في ذلك الجو الغريب الوصول إلى قسم الشرطة فاستقبلها الضابط النوبتجي وهو يتطلع إلى صغيرها الذي أغرقته المياه فشعر بأمر جلل فأسرع إليها وهو يطلب منها الجلوس واستمع إليها وهي تسرد ما حدث في سرعة ولهفة وهو يومئ برأسه ملاطفا مخففا عنها.

حاول الضابط أن يهدئ من رَوع سهام قائلا: اطمئني يا سيدتي العاصفة ما زالت قائمة وربما انفصل عنكما و.....

صرخت سهام في وجه الضابط الجالس على مكتبه بقسم الشرطه: زوجي لن يتركني هكذا ولن يترك ابنه إلا بحدوث أمر جلل ماذا يعني هذا؟ هل تبخر زوجى؟؟؟

صمت وهو لا يدري بماذا يطمئنها خاصة بعد أن أجرى اتصالا بأمن المعبد وردوا باستحالة البحث في مثل هذا الجو فارتاع قلب سهام وهي ترى حيرة الضابط أمامها فنظر إليها في شفقة قائلا: سنعثر عليه لا تقلقي فلربما سبقكم إلى مكان ما لن أوقف البحث.

وهدأت العاصفة وانحسر الرعد واستمر البحث أياما وأياما وأسابيع وشهورا ثم توقف.

الفصل الثاني

فتح محمود عينيه وهو يتأوه في ألم ظهر واضحا في نبرات صوته لتطالعه صفحة السماء بدا يتأوه وكأن عظامه دكت تحت مكبس ضخم. بدأ يتطلع حوله في حيرة شديدة متحاملا على نفسه ليجد نفسه مُلقًى وسط صحراء شاسعة وخيل إليه لأول وهلة أن منظر السماء غير معتاد عليه.

تطلع حوله في توتر وجيوش الرمال تحاصره من كل صوب، دارت آلاف التساؤلات وذهنه منشغل بكيفية وصوله إلى هذه الصحراء فأغمض عينيه في قوة وفتحهما في بطء هزلي وهو يتمنى أن يفتح عينيه ليلقى وجه زوجته وابنه ليصطدم بواقعه المرير تلك الصحراء الشاسعة الغريبة مرة أخرى بصمتها الرهيب وآلاف من أطنان الرمال تجثم كوحوش كاسرة ترقبه في صمت ولهفة ثم هناك أمر غريب في هذه الصحراء شيء ما يثير حيرته زفر في قوة وهو يعيد التطلع حوله عله يجد تفسيرا مقنعا لوصوله إلى هذا المكان.

كل ما يتذكره أنه كان محتضنا لزوجته وابنه الصغير (هشام) في أثناء تلك العاصفة التي بدأت فجأة بمعبد الكرنك ثم شعر بزيادة ضربات قلبه وحرارة شديدة وكأن جسده يشتعل وصوت فحيح غريب ثم تلك الدوامة.....

توقف محمود عند هذه النقطة وكأنه لا يصدق ما يسرده عقله وتكشفه ذاكرته لم لا وهو يذكر وكأنه صعد إلى دوامة حلزونية تدور بسرعة رهيبة وجذبته كأنه قشه لا تتجاوز عدة جرامات هز رأسه في قوة وهو يحاول أن يستوعب تلك المشاهد المتقطعة التي جمعها عقله وبدأ يشعر بالقلق على زوجته وابنه الصغير ونبض قلبه في قوة موجعة قائلا: " أين هما الآن؟ وكيف جاء إلى هذه الصحراء؟ ".

وأبى ذلك الذكاء البشري إعطاءه تفسيرا مقبولا مقنعا وقدماه تخترقان المجهول وحاجته البشرية تجتاحه معلنة رغبتها المستمرة في بعض قطرات الماء وقد جف حلقه.

بعد مرور ساعات احتسبها بعد تمايل الشمس نحو مخبئها اليومي المعتاد هناك حيث تغرب كل يوم معلنة بداية حياة جديدة أو زوالها تحركت أقدامه في بطء وهو يتطلع حوله دون فائدة ترجى وهو يواجه تلك التباب العالية والتي كلما وصل لإحداها حاملا معه آلامه كطفل صغير يتخيل دائما أن بعد التل جنة. وكأن هذه الصحراء تأبى إلا أن تزيد الأمر حدة وبشاعة فكلما تجاوز تلا واجهه الآخر فخارت قواه تدريجيا فانكب على وجهه في عنف فلم تعد قدماه قادرة على تحمله وجسده يئن ألما ولسانه يتعطش لشربة ماء ولو بضع قطرات منها. وأصوات تلك النسور ترن في أذنه

بعيدة وكأنها تحتفل بتلك الفريسة المنتظرة أو كانت هي تخيلاته وهلاوسه التي بدأت تسيطر على قواه العقلية في حدة وشراسة. ثم لمح ذلك الضوء ينبعث من وراء التلة الترابية التي تجثم أمامه فأغلق عينيه في قوة وتلاعب طرف لسانه بشفتيه وكأنه يستخلص منها ما يقيمه على تحمل العطش ابتسم في سخرية مريرة وهو يتخيل أن الضوء المنبعث وراء التل ما هو إلا أمل زائف يعطيه لنفسه ليصمد قليلا فتستكمل تلك الصحراء الملعونة مطاردة فريستها البشرية عبر أمل زائف في الحياة. رفع رأسه في وهن وهو يحاول أن يخترق ذلك الظلام الدامس. ثم بدأ يحبو متسلقا تلك التبة وكأن الحياة تنتظره خلفها.

كان كفراشه تتحرك حثيثا نحو موتها المنتظر في شعاع أو نار تحرقها وتسلب حياتها.

تحركت يداه وقدماه رويدا وحبات الرمل تأبى إلا أن تنتزع منه كثيرا من حبوه وصعوده فتنحدر به أكثر مما تصعد به. لكنها الرغبة في الحياة هي التي طالما احتار علماء النفس في وصفها أو تفسيرها إنها إرادة الأعمى في التعلم وإرادة الفقير في صنع حياة كريمة وإصرار الأم على الإنجاب رغم ما تلاقيه كل مرة من آلام وتعب.

استطاع أخيرا أن يقهر تلك الحبيبات الرملية الناعمة ليصعد التبة وخيل إليه في صورة ضبابية أنه يرى أنوارا تأتيه من بعد كمشاعل نار تستقيم في صفين وسمع حوارا بلغة غريبة ورفع رأسه في ضعف لتواجهه تلك السيقان العارية و..... فقد الوعي.

******

لم تترك سهام بابا إلا وطرقته ظلت طوال أشهر كاملة في الأقصر رافضة بشدة العودة إلى القاهرة رغم محاولات أمها المستميتة وعمها: الدكتور أحمد سعيد الأستاذ بجامعة حلوان والذي كان يرعاها كابنته ولكن ذهبت كل محاولاتهما مع الريح ولكنه الزمن وتقلباته فقد غلبها خوفها على وليدها فاضطرت في النهاية إلى العودة للقاهرة بعد أن ظل رجال الشرطة أسابيع كاملة يستنزفون جهودهم في البحث بين أرجاء المعبد ومقابره بل في المحافظة كاملة دون أن تظهر بارقة أمل واحدة. لكن مرور عدة سنوات على حادثة زوجها لم يمنع ذلك الإصرار العجيب الذي كان ينبئها دوما بأن زوجها ما زال حيا ورغم شهادة وفاته إلا أنها كانت متيقنة بهاجس غريب لا تدري له سببا بأن زوجها موجود في الأقصر بل إن ذلك الهاجس كان يراودها بأن ذلك المعبد الغريب له علاقة باختفاء زوجها الغامض.

اعتادت أن تهبط كل عام إلى الأقصر علها تجد دليلا ما أو خبرا من أحدهم ينبئها أن زوجها ما زال حيا رغم كل التفسيرات التي وردت في محضر فقده والتي رجحت أنه فقد في إحدى المقابر في أثناء العاصفة. ولكنها كانت تردد لنفسها

دائما أنهم لم يروا ما رأته لقد كان جوارها كانت تشعر بلمس كفيه على ظهرها وما بين إحساسها بكفيه وعدم إحساسها كانت عيناها تتجه إليه في جزء من الثانية.

وفي النهاية قلّت زيارتها للأقصر ومرت خمس سنوات حاولت سهام خلالها أن تنتبه لرعايه ابنها (هشام) ولكن قلبها الأنثوي أبى أن ينسى ذكرى واحدة لزوجها فكانت تتذكر دائما كيف التقت زوجها محمودا عندما كانت بكلية العلوم جامعة القاهرة وكيف كانت من أوائل دفعتها وكيف تعرفت على زوجها بمحافظة القاهرة حيث كان ملتحقا بكلية الطب وافدا من إحدى محافظات الصعيد محافظة قنا له ملامح أهلها ورجولتهم جذبها منذ أن رأته لأول مرة في أحد معامل القسم بالكلية حيث كانت طلاب الكليتين يشتركون في بعض المحاضرات.

هدوءه وتحاشيه النظر إلى فتيات القسم وجديته وحياؤه الشديد كل هذا جعلها تشعر أنه غير شباب جيله ولم تمر عده أسابيع إلا وكانت الجامعة تتحدث جميعها عن التقائهما وارتباطهما الواضح.

كانت كل تلك الذكريات تهاجم عقلها في عنف وجسدها يهتز فتطلعت حولها ودموعها تطل من نوافذها لامعة حزينة ولاح منها نظرة عابرة مريرة وهي تتطلع لكل ملمح من شقتهما بمصر الجديدة وكل جانب منها يذكرها بذكرى جمعتها معه. كانت خواطرة تدور و(هشام) ذو الست سنوات قابع بين ذراعيها فتنهدت عائدة إلى واقعها البائس ليقاطعها الصغير قائلا:

-لقد وعدتِني يا أمي بأنك ستوافقين على الرحلة الذاهبة إلى المعابد الفرعونية.

فالتفتت إليه متطلعة بابتسامة حانية قائلة:

-وأمك لن تخلف الوعد يا (هشام)

امتدت يد الصغير في براءة وهو يمسح دموع أمه بيديه قائلا:

-لماذا تبكين دائما يا أمي؟ أما زالت عيناك تؤلمانك؟

أشاحت بوجها بعيدا وهي تقف محاولة إزالة وإخفاء ما بها من توتر وحزن قائلة:

-نعم يا صغيري هيا بنا لنذهب إلى جدتك فهي في انتظارنا.

لم يستغرقا وقتا كثيرا فما هي إلا دقائق وكانت أمام شقة والدتها التي تبتعد عنها بشارعين فقط. كانت والدتها تقطن بشارع الدكتور سيد عبد الواحد المتفرع من شارع إبراهيم اللقاني بزخمه الشديد بمنطقة روكسي بمصر الجديدة.

استنشقت سهام دفقة من الهواء واشتمت تلك الروائح التي تميز ذلك الشارع عن غيره والتي تحمل خليطا من روائح فطائر البيتزا المطبوخة بذلك المحل الشهير ورائحة الفاكهة التي تنساب من آخره في تلك السوق التي تختم ذلك الشارع الصغير.

تنهدت في قوة وهي تسترجع طفولتها في ذلك المنزل الذي يحمل عبق الخمسينيات والذي يحمل طرازه الإيطالي حتى يومنا هذا. كانت الأم قد استجابت لرنين الجرس وما إن رأت ابنتها حتى احتضنتها في قوة وحب ظاهرين ثم التفتت إلى الصغير وطبعت قبلتها الحانية على جبينه ولكنه سرعان ما انفلت من بين يديها مسرعا نحو الشرفة الواسعة المطلة على حديقة صغيرة تكاثف شجرها حتى تمايل على طرف الرصيف

الموازي للشارع ليرقب الشارع في صمت لا يتناسب وسني عمره فضحكت الجدة وشاركتها سهام وكلتاهما ترقبانه في سرور فقد كان هذا أول ما يفعله (هشام) عند مجيئه إلى جدته فأردفت سهام قائلة متطلعة إلى أمها:

-سنريحك منا قليلا فسنسافر غدا إلى الأقصر.

تفاجأت الأم وهي تنظر إلى ابنتها في قلق وهي تقول في توتر: الأقصر! ولماذا الأقصر يا سهام؟!!

ردت سهام في سرعة وتصميم وكأنها كانت تعلم رأي والدتها في السفر:

-إن (هشام) يريد زيارة الأقصر فهو متعلق بزيارة المعابد الفرعونية وقد وعدته بذلك.

ردت الأم في غضب:

-بل إن الأمر ما زال متعلقا بتلك الأفكار التي تدور بعقلك.

صمتت قليلا بعد أن شعرت بانفعالها الزائد ونظرات سهام تلاحقها في استنكار وضيق

فلان صوتها وهي تكمل عبارتها قائلة:

-أما آن لهذا أن ينتهي لقد مر على موت زوجك خمس سنوات كاملة ثم..... صمتت وهي تبتلع حروف كلماتها ثم أردفت في خفوت:

-ثم إنك ما زلت صغيرة يابنتي وأنت تعرفين أن ابن خالتك الدكتور وائل ما زال متعلقا.....

قاطعتها سهام في حدة وهي تقف منادية (هشام) ثم التفتت لأمها وهي تستعد للرحيل

قائلة في غضب:

-إن زوجي لم يمت محمود حي يا أمي ولن أفقد الأمل أبدا وانسي أمر الدكتور هذا.

صمتت الأم وهي تحدق فيها ذاهلة وكأنها تنظر لمن فقد عقله عشقا وحبا وقابلتها نظرات سهام الحادة فانكمشت في مقعدها وقد أشاحت بوجهها بعيدا ودموعها تطل من عينيها وهي لا تدري ماذا تقول لابنتها وبدأت تتخيل أن مـــوت محمود قد أصـــابها بجنون ما بعد الصدمة فابتسمت لها وقد خرجت ابتسامتها رغم ما حاولته ضعيفة باهتة قائلة لها:

-كل ما أرجوه أن تهتمي بنفسك وابنك الصغير ولا أرى داعيا للذهاب إلى الأقصر مرة أخرى.

ردت سهام في سرعة:

-لن أخلف وعدي لصغيري (هشام) فقد وعدته بزيارة الأقصر ثم إنه يجب ألا ينسى منبت أبيه يا أمي.

فحركت الأم يديها وهي تردد في خفوت:

-كان الله في عونك يابنتي..

الفصل الثالث

دوامة دائرية ترتفع وهمهمات غريبة وروائح أغرب أحاطت به وشعر بنفسه يدور كمن جذبته المياه إلى قاعها. فشهق في عنف وفتح عينيه لتهاجمه مخالب الشمس فأغلق عينيه في قوة حتى تستوعب عيناه ضوء النهار وفتحهما في بطء ليجد عشرات العيون مصوبة إليه في توتر وقلق. كاد قلبه يتوقف عن ضخ ما يجعل جسده قادرا على الحركه والحياة وانحبست الكلمات على شفاهه وهو يحدق في ذهول فيما يرى ومسلسل مستمر من الأحداث التي لا يجد لها تبريرا أو فهما. عشرات من حاملي الرماح حليقي الرؤوس تبدو عضلاتهم المفتولة وهي تكاد تخترق جلودهم السمراء اللامعة يلبسون تلك الملابس الفرعونية الشهيرة.

أراد الالتفاف ليتحقق مما حوله فتأوه في ألم ليلحظ أنه مقيد بعمود ضخم ولكن هذا لم يمنعه من ملاحظة أنه موجود فيما يشبه معبدا فرعونيا. فقال في ضعف:

-لو أنها مسرحية ما فإنها أسخف مسرحية رأيتها ... نحن في بلاتوه تصويري..

قالها في سخرية وإن خرجت عبارته مترددة تعكس توتر صاحبها وهو يمد بصره لأحد حاملي الرماح عله يجيب بما يطمئن قلبه. ولكن كل ما قابله هو تلك الأعين الصارمة والوجوه الحجرية المنحوتة كأنما هي تماثيل لبشر نحتت كأروع ما يكون الفنان.

ووسط كل ذلك الصمت تقدم طويل بصدر عار ارتسمت عليه رشقات السهام وضربات السيوف وقد بدا واضحا أنها آثار جراح قديمة لحروب خاضها على مر سني عمره مرتديا جلدا لا يكاد يستر عفته نقشت عليها أحرف فرعونية لا تخف على أي مصري معرفتها شكلا لا معنى وسيفه معلق في وسطه قابضا عليه بيد قوية متمرسة في قوة وحرص. تحرك الجنود في مهابة واحترام إلى الخلف وأحنوا رؤوسهم في تبجيل واضح لذلك القادم كان القادم كما وصفته الكتب المصرية القديمة كقائد بالجيش الفرعوني وقد بدا عليه الصرامة والمهابة. اقترب منه القائد ومحمود لا يصدق كل ما يحدث حوله حتى عقله العلمي بطبيعة الجامعة التي درسها لم يجد تفسيرا لكل هذا.. وإن بدأ يفكر في خاطر كاد أن يوقف قلبه... هل يكون تفسيري هو الحل لما أنا فيه؟ ونفض رأسه في قوة فتوتر الجنود وشهر أحدهم رمحه في تحفز. فصرخ القائد بلغة لم يفهم منها محمود شيئا فسقط قلبه بين قدميه واتسعت عيناه وقد أيقن أن كل ما يراه هو الحقيقة... والحقيقة كاملة....

******

تحرك القطار من محطة القاهرة مطلقا ذلك الصوت الرتيب الذي طالما عشقه أهالي الصعيد فهو إما ترنيمة حزن راحلة من بلادهم إلى القاهرة لأجل لقمة العيش ومصدر جديد للرزق أو هو تلك السيمفونية المبهجة حين يقفلون عائدين لزيارة منبتهم أو رؤية ذويهم.

نبض قلب سهام في قوة والقطار يتحرك متجها إلى الصعيد استجابة لتلك الرحلة التي يتمناها (هشام) وهي تحتضنه وكأن أحدهم سينزعه من بين يديها.

عادت بذاكرتها إلى الوراء عندما كان زوجها محمود على الكرسي المجاور وهما ذاهبان لزيارة أهله في الصعيد كان بارا بهم فقد كان من عائلة فقيرة يسعى ويحرص على مساعدتهم قدر ما استطاع فزادها هذا حبا وعشقا له كان يناديها دائما بزهرة اللوتس حتى أصبح أصدقاؤها وأهلها ينادونها بذلك اللقب ارتسمت ابتسامة قصيرة على شفتيها عندما حركتها ذاكرتها إلى هذه النقطة من ذكرياتها فتململت في كرسيها وكأنها تستشعر ما تفكر فيه وهي تستكمل ذكرياتها ملتقطة وجهه عندما يكون غاضبا منها فيناديها باسمها فتعلم أنه غاضب منها فتجري إليه في عبث عشقي تحاول إرضاءه فيبتسم لها كأجمل ما يكون العاشق .

حانت منها التفاتة إلى ابنها (هشام) وهو يتطلع إلى تلك

السيدة في المقعد المجاور ليبادلها الابتسام في براءة طفوليه عابثة داعبت شعره في لطف وهي تتأمل ملامحه الشبيهة بأبيه فكأنما نحت منه نحتا على الرغم من سنيّه الصغيرة. التفت إليها (هشام) فجأة وقد برقت عيناه وهو يقول:

-أنا سعيد لأني سأرى أبي مرة أخرى يا أمي.

أفزعتها العبارة فضمت ذراعيها إلى جسدها في قوة وهي تتطلع إليه مبهوتة عاجزة عن الرد وبدأت تسترجع تلك العبارات التي كثيرا ما يلقيها صغيرها دون أن تجد لها تفسيرا مع سنوات عمره القليلة. سألته في خفوت وحذر زائد:

-وهل أنت ترى أباك يا (هشام)؟؟

طالعتها نظراته الصامته مرة أخرى وقد برقت عيناه:

-نعم يا أمي أراه أليس هو أبي؟

ابتلعت ريقها في قوة وهي تقترب بوجهها منه متوترة قائلة في بطء:

-أين؟ أين تراه يا (هشام)؟

حدق (هشام) في عينيها دون أن يرمش له جفن وقد توقفت منذ زمن عن التعجب منها فلكم فاجأها (هشام) بردود أفعال لا

تجد لها تفسيرا.

أعادت سؤالها مرة أخرى في حدة وصوت جعل كل من في العربة يحدق فيها مستنكرا فتنحنحت وهي تتطلع لهم في خجل ثم أشاحت بوجهها نحو نافذة القطار وقد اعتادت منه الصمت وبررت كعادتها أنها تلك التصرفات الطفولية التي تلازم هذه السن وتعلقه الدائم بالصور التي كانت تريه إياها لأبيه محمود.

سندت رأسها على زجاج النافذة تتطلع لتلك الأراضي الزراعية التي يخترقها القطار فتناعست عيناها وثقل جسدها المسكين فانساب الخدر إلى جسدها في بطء وشريط من ذكريات سعيدة يتقطع تلك المشاهد على سطح الزجاج المجاور واستغرقت في النوم.

******

شعرت سهام بضيق في صدرها وكان أنفاسها تأبى الخروج أو الدخول وذلك الفحيح الغريب يحيط بها في ظلمة دامسة وهي تصرخ في رعب. فتحت سهام عينيها في ألم وسحابة فوق ضوء النافذة تظهر أمامها لتغلق عينها في قوة فانتبهت مذعورة تتلفت حولها لذلك المقعد المجاور الذي يضم فلذة كبدها وما تبقى لها من الحياة ابنها (هشام) وصرخت في رعب فقد كان المقعد خاويا تماما فانتصبت واقفة في لوعة متحركة من مقعدها ناظرة في فزع ورعب داخل العربه باحثة عن ابنها لتطالعها عيون الركاب الحائرة والتفتت في ذعر وهي تتحرك صارخة: "ابني (هشام)..... ابني اختفى.

لم يكن ذلك القلب الرقيق ليتحمل فقدان الاثنين معا " فانهارت واقعة على أرض العربة ليرتطم رأسها بقوة في المسند المجاور لها وفقدت الوعي.

******

الفصل الرابع

بدأ أحمس بن أبانا القائد العام بجيوش الملك أحمس يتطلع في فضول شديد إلى ملابس محمود وهو يمرر يده في حذر على ملابسه ثم خفض عينيه بغتة وانحنى لأسفل وهو يشير إلى حذاء محمود، ثم التفت لأحد الكهنة الواقفين وقد أمسكوا تلك العصي التي تحمل رأس الثعبان وكأنه يستشيره فيما يراه وبدا لمحمود أنه يخبره عن ذلك الحذاء الغريب.

بدأ هاجس يتغلغل داخله بأنه قد انتقل للماضي كان هذا هو التفسير الوحيد لكل ما يحيط به من أحداث ... كيف حدث هذا فهو لا يدري، وأين؟.... فيبدو أن لمعبد الكرنك دورا كبيرا في ذلك

أما متى ربما لتلك العاصفة الغريبة التي فاجأتهم في ذلك اليوم.

كان الضعف يبدو عليه والعطش ينخر جسده وكأنما شعر أحمس بن أبانا بما هو فيه فأشار لأحد الجنود الذي أسرع وحمل قربة قربها من محمود في توتر وهو ينظر إليه مفزوعا وكأنما هو الشيطان عينه خاصة مع تلك الملابس التي يرتديها محمود والتي تختلف تماما عما اعتادوا على ارتدائه في

عصرهم.

نهل محمود من قربة الماء وهو مقيد على أحد أعمدة المعبد في لهفة والماء يتساقط على جسده

وأحمس بن أبانا ينظر إليه في فضول وعجب وسرعان ما التفت أحمس بن أبانا إلى الكاهن جواره وهو يردد عبارة ما ثم أشار إلى السماء ولم يفهم محمود منها شيئا سوى أن أذنه التقطت منها كلمة رع وبرقت عيناه وهو يعلم ارتباط الفراعنة بالأساطير وربطهم لكل ما هو غير مفهوم أو معلوم بآلهتهم وأساطيرهم ولربما كان هذا منفذه مما هو فيه ولكنه هز رأسه في نفي وكأنه يرفض ما جال بخاطره وأردف صارخا باسمه فتوتر الجنود متراجعين إلى الخلف بعد أن شقت لغة محمود الغريبة بالنسبة إليهم آذانهم فعقد أحمس بن أبانا يديه خلف ظهره في قوة تنم عن شجاعته وصلابته وهو يعيد التحديق إليه كمن يحاول أن يفهم ما بداخله.

انتبه محمود فجأة لحركة أحد الحراس وهو يحاول جاهدا الاستناد على رمحه وبدأ يترنح في قوة محاولا جاهدا التماسك أمام قائده دون جدوى ولكنه سرعان ما وقع مرتطما بالأرض

فأسرع أحمس بن أبانا في لهفة يحسد عليها كقائد للجند ليطمئن على رجله والجنود يلتفون حوله وأسرع أحد الكهنة يزيح الجنود طالبا منهم الابتعاد ثم انحنى على الجندي محاولا علاجه دونما فائدة وما هي إلا دقائق وانتصب في طريقة مسرحية وهو ينظر إلى السماء مرددا بعض العبارات ثم التفت لأحمس بن أبانا محركا رأسه في بطء فطأطأ أحمس رأسه في حزن واضح.

بدا عجز الكاهن واضحا لأعين محمود الخبيرة في عمله كطبيب وبدا له أن تلك العلوم ستكون خير معين في إنقاذ حياته وتحمله لهذا المأزق غير المفهوم. كان الكاهن يحاول إخبار أحمس بن أبانا بأنه فات الأوان على علاجه وقد وصل الجندي إلى أبواب الموت وإن بدا أنه ما زال حيا وينازع الرمق الأخير فصرخ فيهم محمود محاولا إبلاغهم بأنه يستطيع أن ينظر إليه ولم يلتفت إليه أحد فاهمين أنها مجرد شكوى معتادة من كل أسير يأسرونه. صراخه المتواصل وإصراره على الحديث جعلا أحمس بن أبانا يلتفت إليه في غضب محدقا فيه بنظرات تشبه أعين الصقور. اقترب منه مراقبا إيماءات رأسه وحديثه، فشعر بغريزة القائد المقاتل وتلك النظرات

الملهوفة من محمود تجاه الجندي أنه قادر على علاجه فأشار إلى أحد الجنود وغمغم ببعض الكلمات فأسرع الجندي وفك وثاق محمود الذي كان قد استرد جزءا من طاقته بعدما أطعموه وسقوه من الماء.

تحرك محمود نحو الجندي وبدأ في فحصه بأيد ماهرة ولم يكن يحتاج إلى كثير من الوقت ليفهم أنه مقبل على غيبوبة سكر فقد كان العرق يبلله وكان تسارع حاد في نبضات القلب وتنفس متسارع.

وجد محمود صعوبة كبيرة في توصيل ما يلزمه لعلاج تلك الغيبوبة على الرغم من أن ما يطلبه بسيط. فوقف حائرا مبهوتا وهو لا يدري ما يفعل وقد وقف جهله باللغة حائطا وسدا منيعا بينه وما يريد والجنود ينظرون إليه في حيرة وعجب.

برقت عيناه في قوة عندما تذكر تلك العبارة المصرية التي كانوا يرددونها صغارا (كاني وماني) كان يعلم أنها كلمات فرعونية تعني سمنا وعسلا ولم يكن يدري أيهما السمن وأيهما العسل فاضطر محمود إلى ترديد العبارة عدة مرات فأسرع

الجنود ليحضروا ما طلبه. عاد الجنود حاملين إناء به كثير من السمن وإناء آخر به ما يشبه العسل فتذوقه محمود في سرعة وكان أقرب إلى ماء السكر فصب منه في فم الجندى.

ومرت الدقائق بطيئة قاتلة وبدأ محمود يدعو الله أن يكون الجندي على قيد الحياة

وأحمس بن أبانا جالسا ما زال يحدق به في صمت وترقب. وفجأه قطع ذلك الصمت الرهيب تأوه الجندي وهو يحاول أن يقف مستندا على الجدار المجاور له.

لم يدرك الجنود أن محمودا ما هو إلا طبيب في عصر أصبح فيه مرض السكر غير مميت على عكس ذلك العصر الفرعوني القديم حيث كان مرض السكر غير معروفة أعراضه أو طريقة علاجه. كان محمود يعلم أن ما فعله يعد معجزة شفائية بالنسبة إلى عقولهم حيث إن مرض السكر لم يكتشف إلا على يد العالم العربي ابن سينا في العصر العباسي التالي لهذا العصر بآلاف السنين وأن من اكتشف علاجه هو العالم فردريك غرانت حين استطاع أن يضع تركيبة سميت فيما بعد بالبنسلين وذلك عام ١٩٤١.

دارت كل تلك المعلومات كالبرق الهابط على رأسه وعلم أنه يستطيع أن ينقذ نفسه بما يملكه من علوم مستقبلية هي في باب المعجزات في قبره الزمني هذا. دارت دوامة الأفكار في عقله فظل شاخصا بعينه ناظرا إلى المجهول وكأنه تمثال إغريقي قديم لولا أن قطع تأملاته وأفكاره ذلك الصوت المبحوح الذي خرج من أفواه رجال أحمس بن أبانا وهم يرددون عبارات ممطوطة التقطتها أذن محمود وإن لم يفهم لها معنى في إيقاع متوازن (تحري آمون رع – تحري آمون رع) وقد انحنت أجسادهم وطأطؤوا رؤوسهم في قداسه وهم يواجهونه. لم يكن محمود يعلم أن هذه العبارة تعني كاهن آمون وأنه بفعلته هذه قد أنقذ نفسه مؤقتا من الموت في زمن غابر بعيد. حدق فيهم مبهوتا تشاركه دقات قلبه في قوة.

******

استيقظت سهام فجأة لتجد نفسها على مقعدها بالعربة فبدأت تلتفت حولها في سرعة وهي تصرخ :"ابني (هشام)" والتفتت لتتفاجأ بابنها (هشام) على يسارها في المقعد المجاور فضمته في قوة كادت تحطم ضلوعه فتأوه في ألم وبدأت تلتفت إليه وكأنها آخر لحظات عمره معها وهي تردد:

-أين كنت يا (هشام)؟! أين كنت؟

فاجأتها إحدي السيدات في المقعد المجاور قائلة:

-آسفة لك يا سيدتي. لقد كان يحتاج الذهاب للحمام وكان يبكي في صمت ورأيتك قد استغرقت في النوم في قوة فأخذته على مرأى من الجميع، أكرر أسفي مرة أخرى.

تنهدت سهام في قوة وشعرت بنظرات الشفقة تخترقها فأشاحت بوجهها إلى ابنها وتغافلت الجميع وهي تنظر إليه في حب وعطف وابتسمت والدموع تجري في أنهار صغيرة حفرت بيد فنان ماهر على وجهها فأضاعت تلك الثنايا الصغيرة ذلك الجمال الأغريقي الذي ميزها قبل اختفاء زوجها وحبيبها ورفيق عمرها محمود.

تطلعت في حزن شديد إلى ابنها (هشام) وهي تعبث بشعره الناعم الذي اكتسبه من أبيه وتتأمل في ملامحه الشبيهة كثيرا بملامح أبيه محمود، ثم جذبته في رفق واحتضنته طويلا محاولة جاهدة ألا يرى (هشام) دموعها ولكن كيف ل(هشام) حتى وإن كان طفلا ألا يشعر بجسد من يحبه؟!

وصل القطار إلى محطة الأقصر وهبط الركاب متزاحمين تسبقهم عيونهم المترقبة وكأن المعابد تنتظرهم خلف أبواب القطار أما سهام فكانت تتطلع حولها في حذر وكأن هذه المدينة الفرعونية قادرة على أن تختطف منها ابنها كما اختطفت منها زوجها منذ خمس سنوات مرت.

اتجهت إلى نفس الفندق الذي كانت تقطن فيه كلما هبطت إلى الأقصر وكأنها تحاول أن تسترجع كل ذكرى جميلة لها مع زوجها وما هي إلا ساعات وكانت بصحبة صغيرها متجهة لزيارة معالم المدينة. تنقلت سهام هي وابنها بين معابد الأقصر وعقلها لا يتوقف كعادتها منذ ست سنوات كاملة من اختفاء زوجها محمود كما سمت الأمر فلم تقتنع يوما بوفاته على الرغم من أن كل الدلائل تشير إلى ذلك.

كانا قد وصلا لمعبد آمون في الكرنك وتناقلت الأفواج بين جدران معابد الكرنك مبهورين بتلك الحضارة المصرية التي ما زال العلم الحديث حتى اليوم مبهورا بما حققته من إنجازات وما شيدته من معمار.

قطع عليها تأملها تسمر (هشام) أمام إحدى اللوحات الجدارية وهو يشير في سعادة إلى رسم ما على أحد جدران المعبد فتقدمت نحوه في سرعة ولكنه قطع تسمره وأسرع إليها قائلا:

-أمي لماذا يوجد أبي على جدار هذا المعبد؟

اتسعت عيناها في لوعة وعجب من ذلك العبث الطفولي والعناد الصبياني فهو لم يشاهد والده إلا في صوره التذكارية التي تجمعه وإياها فقالت وهي تحتضنه في قوة:

-أنا أتمنى مثلك أن أراه مرة أخرى يا (هشام) لا تحزن يا ولدي.

رد (هشام) في عناد مستمر:

-ولكن أبي يوجد على جدار الحائط. والتفت مشيرا إلى ذلك الحائط المواجه.

فغضبت قائلة في عصبية:

-توقف عن ذلك العناد. وجذبته متجهة خارج المعبد ولكنه جذب يده في سرعة وأسرع مرة أخرى عائدا إلى تلك النقوش الجدارية التي ما زالت ألوانها على الرغم من مرور الزمن محتفظة بكثير من زينتها فأسرعت خلفه غاضبة حتى اقتربت منه وهي تقول:

-ألن تكف عن ذلك العبث الذي.....

لم تكمل عبارتها وهي تتطلع في رعب وفزع إلى تلك الصورة الجدارية المنحوتة على الجدار فشهقت في قوة واندفعت للوراء متعثرة فيمن خلفها لترتطم بأرض المعبد الصخرية وهي تتراجع إلى الوراء مرتطمة بأقدام السائحين الذين ولوا من طريق تلك المرأة المجنونة فأسرع عدد من رجال الأمن نحوها في سرعة للاطمئنان عليها.

كانت المفاجأة التي حبست بداخلها أنفاسها وهي لا تبالي بمن حولها ولا بمن يحاول الاطمئنان عليها. فهناك على الجدار نحتت صورة لرجل ينحني في خضوع لكاهن فرعوني يشبه زوجها محمودا بطريقة لا تخطئها العين التي سبق لها

رؤيته من قبل... فقد كانت ملامح زوجها وكأن من نحت الجدار أوقف محمودا أمامه ونحت كل ملامحه في دقة وثبات. ..... ونبض قلبها في عنف.

******

الفصل الخامس

بدأ الكاهنان "تحوتي" و"مين منتو" يتحركان في قلق داخل معبد آمون.

فقال "تحوتي" في قلق وتوتر للكاهن "مين منتو":

-إن ذلك الأفاق خدع القائد أحمس بن أبانا.

قاطعه "مين منتو" في لهفة:

-وبالتالي سيرتفع قدره عند مولانا الفرعون أحمس.

رد "تحوتي":

-نعم أتذكَّرُ بدايته في خداع القائد أحمس منذ عدة سنوات عندما عالج الجندي الميت وأعاده للحياة.

صمت قليلا وهو يرى أثر كلماته على (مين منتو) ثم أكمل قائلا:

-ناهيك عن تلك المواد الغريبة والأعشاب التي يطلبها والتي لها أغرب الأثر فيما تفشل فيه عقاقيرنا الكهنوتية وعالج بسحره كثيرا من المرضى الذين لم نستطع علاجهم

في رأيك ما نوع السحر الذي يستخدمه؟

رد "مين منتو" في سخرية وهو يتطلع إليه:

-حتى أنت اقتنعت بما أقنع به الناس من سحره؟!

تحرك وهو يشير نحو العديد من القوارير متراصة بنظام فوق موائد جوار حائط المعبد قائلا:

-إنها قوارير تحوي محاليل صنعناها من الطبيعة واقتنع الناس أن ما نقوم به سحر.

فلا تقل لي إنه ساحر.

قطب "تحوتي" عينه في شراسة قائلا:

-الخوف كل الخوف أن يجعله الفرعون كبير الكهنة وبقربه منه بعد أن شفى بسحره الفرعون "أحمس – نفرتارى"

رد (مين – منتو) في بطء متخابث:

-وهل يحق لمن كان من العامة أن يكون كاهنا لآمون رع دون أن يقهر متاهة الكهنة؟!

حدق (تحوتي) فيه وكأنه لا يفهم ما يقوله فأردف (مين – منتو) وهو يوليه ظهره:

-حتى مولاي الفرعون لا يمكن له أن يعمد كاهنا لآمون دون أن يلقى بركة الإله آمون ناهيك أنه لم يرث الكهنوتية.

رد تحوتي:

-هل تعني أنك ستقنع الفرعون أحمس أن يدخل الكاهن (تي) إلى متاهة آمون؟

صمت قليلا ثم أردف في سرعة:

-ولكنك تعلم أن متاهة آمون لم يدخلها أحد من قبل ونجا منها إلا بمساعدتنا نحن الكهنة و.....

اتسعت عيناه في قوة وقد فهم ما يلمح إليه الكاهن (مين – منتو) قائلا في شراسة:

-وبالطبع لن نساعده في اجتيازها وسيلقى مصيره داخلها.

قال عبارته الأخيرة وهو يقهقه في قوة سمع صداها في كل أرجاء المعبد.

******

حدق محمود في صمت إلى نجوم السماء واستنشق دفقات من الهواء في قوة والدموع تلمع في عينيه عاكسة نبضات النجوم الفضية وهو يذكر زوجته سهام وابنه (هشام).

نظر إلى نفسه وهو يلبس تلك الملابس الفرعونية كان قد حاول كثيرا أن يفهم كيف وصل إلى هذا العصر حتى إنه كان يتخيل أحيانا أن كل ما يقاسيه هو مجرد كابوس بشع سرعان ما سيستيقظ منه ولكن يفاجئه الحاضر المزعج الذي هو فيه فيستسلم في النهاية لقدره المحتوم.

كان يقوم بصلاته وعبادته أعلى سقف المعبد حتى لا يلحظ أحدهم طريقته الغريبة في العبادة بالنسبة لهم.

استطاع خلال خمس السنوات الماضية أن يتعلم اللغة الهيروغليفية ويعلم كل ما كان يجهله عن تاريخ بلاده السحيق كان كثيرا ما يتعجب من ذلك العصر بما فيه من تقاليد تبعث الدهشة وعدم التصديق والأشد ما أثار كل انتباهه أن المرأة الفرعونية كانت تتساوى مع الرجل في كل شيء عدا المهن حتى قدرة الطلاق والانفصال امتلكتهما تماما بلا استثناء أو تقليل.

وابتسم وهو يزفر في قوة وهو يسترجع بعضا من المشاهد الغريبة التي أدهشته بشدة وهي وضع رجال هذا العصر الفرعوني للمساحيق التجميلية واتسعت ابتسامته حتى ملأت وجهه وهو يتذكر تلك العادات التي استشرت في عصره المستقبلي بين شباب جيله فقال في خفوت: ما أشبه المستقبل بالماضي وكأنهم تركوا كل ما في تاريخنا الذهبي ليستأصلوه آخذين فقط أتفه ما فيه موغلين في دناسته وأخطائه.

انتبه فجأة لأصوات الغناء التي تصاعدت حتى سطح المعبد لأحد العامة الذي أحاطه الليل بسواده فوجده ملاذا ليخرج ما في قلبه من جوى وحب.

كان محمود يحاول جاهدا ألا يدمر الخط الزمني للمستقبل بما يملكه من معلومات وعلم. كان يعلم في قرارة نفسه أن أي تدخل مباشر في مسار الزمن سوف يدمر المنظومة الزمنية للمستقبل. ورفض ذاك المنصب الكبير بمعبد آمون وعمل تحت رعاية الكاهنين " تحوتي " و"مين منتو".

أصبح صديقا مقربا لأحمس بن أبانا وكاهنا مقربا يحظى بكل مميزات الكهنة من تبجيل ومهابة وتقدير.

وأوصى أخاه أحمس بن أبانا أن يطمس كل آثاره وألا يسجل تاريخه على جدران المعابد إلا من صورة توضع على جدران المعبد الجنائزي وتنحت الجدارية وتبقى لتوضع بعد وفاته. وعده القائد أحمس بتنفيذ رغبته رغم اعتراضه الشديد. كانت اللوحة تحمل عبارة واحدة "لن أنساك يا زهرة اللوتس"

وفجأة شعر محمود بحركة ما تخترق حاجز غيب ما خلفه مع صوت فحيح غريب يتصاعد حوله وصعق محمود وهو يشعر أنها نفس الأصوات التي لازمت يوم العاصفة ووقت انتقاله الغريب إلى ذلك العصر فانتبهت حواسه دفعة واحدة وهو يلتفت وراءه ليلمح طفلا صغيرا يتطلع إليه مرتديا ملابس العصر المستقبلي بالنسبه إليه تطلع إليه في حيرة وهو يغمض عينه نافضا رأسه في قوة وهو يظن أن ما يراه ما هو إلا انعكاسات حنينه لطفله الصغير وأعاد فتح عينه في بطء متوقعا أن يجد سطح المعبد خاليا ولكن طالعه وجه الطفل على الطرف البعيد للمعبد فتحرك إليه مسرعا قائلا بصوت

مفزوع: انتبه أيها الصغير.

وما إن اقترب من الصغير حتى اغمض الصغير عينيه ضاغطا على أسنانه بقوة وتدفقت الدماء من أنفه قوية وبدا أن الطفل تحامل على نفسه لأجل شيء ما وما إن اقترب من الصغير حتى تصاعد ذلك الضجيج الغريب الذي لازم كارثته الكبري وقت عاصفته المشؤومة مرة أخرى تصاعدا عاليا وشعر بذبذبة ما تحيطه وكأن جسده يحاول الطيران وفجأة اختفى الصغير تاركا محمودا وسط مئات من التساؤلات المتراكمة.

زفر في قوة ورفع يده إلى السماء داعيا من الله أن يعطيه القوة على التحمل وفراق أحب الناس إلى قلبه زوجته وابنه

تحامل على نفسه هابطا إلى مخدعه وهو لا يعلم ما يحاك له أسفل المعبد الذي يعتلي سطحه وأن ما يقاسيه الآن لن يقاس بما سيقاسيه من أهوال تحاك بخيوط من الغدر والخسة على يد الكاهنين (تحوتي) و(مين – منتو)

واقتربت رائحة الموت.

******

الفصل السادس

تحركت سهام في توتر ذهابا وإيابا داخل حجرتها بأحد فنادق الأقصر وهي تمسك هاتفها في قوة تتطلع للمرة المئة إلى تلك الصورة الجدارية وما نقش عليها بلغة هيروغليفية لا تفهمها. حاولت مرارا أن تفهم معنى ما نقش تحت الرسم دون جدوى. كان الوقت قد تأخر ليلا فلم تدر أين تذهب نظرت في قلق نحو صغيرها (هشام) ولكن في النهاية غلبها قلقها فاتصلت بأحد الأرقام على هاتفها واتجهت صوب الباب وأحكمت إغلاقه وعادت صوب شرفة الحجرة المطلة على النيل الخالد وهي تسمع رنين الهاتف الناحية الأخرى دون أن تتلقي إجابة.

كانت قد اتصلت بعمها الأستاذ الجامعي بكلية الحقوق جامعة حلوان عله يوصلها بأحد زملائه المختصين في دراسة التاريخ الفرعوني عشرات المرات منذ مجيئها من المعبد دون أن تتلقى ردا في كل مرة. فزفرت في قوة وهي تلقي هاتفها في عصبية عائدة إلى إلى داخل الحجرة وهي تتطلع إلى فراش (هشام) وما إن تطلعت إلى الفراش حتى شهقت في عنف ودوت صرختها في كل أرجاء الفندق. كان فراش هشام خاليا تماما فأسرعت صوب باب الحجرة مفزوعة وفوجئت بأن الباب مغلق بإحكام فعادت إلى الحمام الملحق بالحجرة وبحثت في لهفة فلم تجد له أثرا فعادت مرة أخرى إلى الباب مسرعة لتفاجأها عشرات العيون من قاطني الفندق وقد

تجمعوا أمام حجرتها إثر صراخها المتتالي. لم تلتفت لأحد وهي تجري كالمجنونة في الرواق الصغير في ذهاب وإياب وكأن ما تفعله سوف يساعدها في إيجاده وهي تنادي باسم ابنها في لوعة ولم تدر إلى أين تذهب وأخذت تصرخ في الموظف ورجل الأمن الذي حاول أن يهدئ من رَوعها طالبا منها الهدوء قائلا لها إن إدارة الفندق ستتخذ اللازم كما أن الطرقات مزودة بكاميرات مراقبة.

لم تلتفت سهام لكلمة واحدة مما يقوله هابطة إلى بهو الفندق وتأكدت منهم أنه لم يوجد أي طفل قد عبر بوابة الفندق وإلا للاحظه طاقم الأمن. عادت كالمجنونة تثب السلالم وثبا صاعدة إلى غرفتها وقد راودها أنها لم تنظر جيدا بالحجرة فلربما كان يعبث معها واختبأ تحت سريره.

أراحها هذا الخاطر وهي تدلف مسرعة إلى الحجرة وكانت المفاجأة التي كادت أن تصيبها بلوثة في عقلها وشعرت بأنها قاربت على الجنون أنه على الفراش استلقى صغيرها نائما لا يشعر بمن حوله فأسرعت إليه تحتضنه في قوة ففتح عينيه في براءة وهو يبتسم لها وهي تقول: أين كنت يا (هشام)؟!

كان الصغير ينظر إلى ما وراءها فالتفتت لتطالعها نظرات الناس في شفقة وحزن وكأنهم يتحسرون على تلك السيدة المجنونة.

طلب رجل الأمن من الجميع أن يتركوا السيدة وانصرف الجميع وهم يشيعونها بنظراتهم المشفقة.

وما إن خرج الجميع حتى أسرعت وأغلقت باب الحجرة في لهفة ليطالعها ابنها واقفا على سريره ودق قلبها في عنف. كان (هشام) واقفا ينظر إليها في سعادة ولكن ما أفزعها هو ذلك الطين الذي يغطي قدميه وكأنه سار في حديقة موحلة.

دوامة أخرى من التساؤلات تحيط بابنها (هشام) وكأنما عقلها المسكين قد اعتاد على رؤية مشهد غريب لابنها كل يوم وكأن الأحداث المخيفة والغريبة التي تنهش بحياتها قد أصبحت مسلسلا دراميا اعتادت مشاهدته يوما بعد يوم دون أن تملك حق السؤال أو الفهم. وعلى الرغم من أنها تعلم أن ابنها سيقابلها بذلك الصمت الطويل والنظرات البريئة وكأنه استيقظ من حلم طويل إلا أنها أسرعت إليه في لهفة وهي تقول:

-أين كنت يا (هشام)؟ وكيف اختفيت هكذا وعدت مرة أخرى؟ وما هذا الوحل بقدميك؟

نظر إليها الطفل في براءة وهو يقول:

-رأيتك أنت وأبي.

توترت الأم وهي تحدق في صغيرها ذاهلة فأردفت في بطء شديد:

-ماذا تقول يا (هشام)؟ وكيف رأيتنا؟ احكِ لي يا صغيرى.

قال الصغير وهو يتثاءب في قوة مشيرا إلى نقطة مجهولة خلفها وهو يحرك كتفيه في بساطة:

-هناك في المعبد.

وتركها متجها صوب الحمام وكأنه ما زال نائما وهي تتابعه بعينيها في ذهول مرعوبة وقد بدأ ما يحدث معها لا يتحمله عقل أو قلب بشري تاركا وراءه عاصفة جديدة بدأت تتسع مع مجيئهم إلى الأقصر لم تجد تفسيرا إلا أن ابنها كان يحلم ولكن أين ذهب وكيف خرج وكيف عاد وحتى إن كان مختبئا منها أسفل الفراش فهذا لا يفسر ذلك الوحل والطين الملتصق بقدميه!

هزت رأسها في قوة وآلاف من الأسئلة تهاجم عقلها في شراسة شديدة وتفجرت قنبلة مسمارية من الأسئلة وغامت الدنيا في عينيها وتثاقل جسدها وألقت بنفسها على فراشها بعد أن تأكدت من إغلاق باب الحجرة بإحكام وقد أسلمت نفسها لسيطرة تعبها وإرهاقها الشديد واستسلمت للنوم.

فوجئ محمود بطرقات غليظة على باب حجرته فهب مسرعا يرتدي ملابسه ويفتح الباب ليطالعه وجه صديقه القائد أحمس بن أبانا مفزوعا وجلا وقد اختفت ملامح صرامته المعهودة خلف فزعه ووجله قائلا في تضرع واضح: صغيري يا أخي (تي) تطلع إليه محمود في توتر وهو لا يفهم ما مقصد أحمس بن أبانا فهز رأسه في حيرة ودعاه للدخول مستفسرا فأردف أحمس بن أبانا جاثيا على ركبتيه قائلا:

-أنت رسول الإله رع ولقد استولت آلهة الموتى على حفيدي وهو في طريقه إليهم أرجوك أنقذه قبل عبور بوابة الموت.

أدرك محمود بواقع معيشته في ذلك العصر أن أحمس يقصد بذلك أن حفيده مريض وأنه على فراش الموت لم يُضع محمود وقتا فأمسك يد أحمس جاذبا إياه قائلا في لوعة:

-لا تخف أخي أحمس هيا لنلحق به وسأفعل ما أستطيع.

لم يمر وقت إلا وحملتهم عربته التي يقودها جواد واحد إلى منزله قرب النهر الخالد على الرغم من حرصه الشديد على عدم خروجه من معبد آمون ولكنه وجد نفسه أمام منزل أحمس وقد بني من الطين اللبن وعليه زخارف تمثل الإله آمون وما إن دلف محمود إلى حجرة حفيد أحمس حتى زكمت أنفه تلك الرائحة

النتنة التي تحيط بجو الحجرة المظلمة المغلقة لحمايته في اعتقادهم من وصول رسول الموتى أبي فيس وتمنع الإله ست من الحصول على فريسته الصغير.

صرخ فيهم محمود عاليا بفتح نوافذ الحجرة فأسرع الخدم بفتح النوافذ ورؤوسهم تدور في توتر مترقبين ما قد يفعله الكاهن (تي) فأسرع محمود إلى الصغير وما إن رأه حتى أمر الجميع بعدم لمس الصغير فلم يكن يحتاج إلى كثير من المهارة ليكتشف تفسير تلك التقرحات المنتشرة بكامل جسد الصغير أو يخفى على عينه تلك التورمات الصغيرة ليكتشف أن الصغير مصاب بعدوى الدودة الغينية والتي أودت بحياة الآلاف في تلك الحقبة التي تخيل عنها الجميع أنها فائقة البراعة في علاج ما استعصى من أمراض.

مد محمود يده وهو يتحسس جوانب الصغير وهو يضع حائلا قماشيا وعرف أن الصغير يعاني الأمرين الآلام وضيق التنفس وأن تلك اليرقات المعدية ما زالت في طور حياتها الأول ولم يكتمل نموها كاملا داخل جسده وحمد الله سرا لمجيء أحمس بن أبانا في الوقت المناسب؛ فقد كان يعلم ما تفعله تلك الدودة بعد اكتمال نموها كاملا حيث تخرج من الجسد مخترقة أعضاءه وقد تصل في بعض الأحيان إلى متر كامل محدثة دمارا شاملا بكل أجزاء الجسد.

التفت إليهم ملهوفا طالبا ما يحتاجه وما قد يسعفه في ذلك

العصر البدائي ليستعمله قدر ما استطاع كمضاد حيوي لإهلاك تلك اليرقات القاتلة في مهدها.

لم تمر ساعات إلا وكان الصغير يتجرع ذلك الشراب الذي أعده محمود وهو يتأوه في أنين متهالك وأحمس بن أبانا واقف في صمت وهو يتضرع بصوت مسموع بكل ما يعرفه من آلهتهم الوثنية بطريقة جعلت محمودا يصرخ فيه في قوة ليلتزم الصمت فحدق فيه أحمس مبهوتا ولكنه استجاب في سرعة وهو يشيح بوجه ملأته الدموع فتنحنح محمود في خجل فقال بصوت خفيض:

-آسف يا أخي أحمس ولكني لم أكن أستطيع التركيز فيما أفعل وأنت تشتتني بما تقول ولكن اطمئن سيكون الصغير بخير فلا تقلق.

وما إن سمع أحمس ذلك حتى أسرع واحتضن محمودا قائلا:

-شكرا أخي (تي) شكرا يا رسول رع، كنت أعلم أنك قادر على أن تبقيه بعيدا عن بوابات الموت فداك حُليّ وقلائدي ومنازلي أخي (تي) لقد أنقذت حفيدي (جر – إري) (رسام آمون) وبصفتي رئيس بحارة الفرعون العظيم أحمس أهبك دمائي إن مسك شر (ست) أو (أنوبيس).

تطلع إليه محمود وقد أدهشته كلماته وقد انسابت كلماته العذبة لتخفف ما هو فيه من وحدة وألم الفراق وبعد الزمن فربّت كتفيه قائلا:

-لا تنسوا أن تنقلوه إلى مكان مشمس بدلا من تلك الغرفة المظلمة حتى لا يتفاقم الأمر مرة أخرى.

ثم التفت خارجا في نفس اللحظة التي نظر فيها أحمس بن أبانا عاليا وكأنه يخاطب الفضاء:

-استرح يا أبا فيس فصغيري معه رسول الإله رع ولن تختطف صغيري مني.

فالتفت محمود متعجبا من إيمانهم الكامل بتلك الآلهة التي استولدتها أساطيرهم.

كان كثيرا ما يشغل نفسه بالتأمل في تلك الحياة الغريبة التي ألقي فيها وكشفت له تلك السنوات التي قضاها تلك التساؤلات التي كانت تشغله عن ذلك العصر الغريب.

أخذته أفكاره وهو يتأرجح مع حركة العربة عائدا إلى معبد آمون وهو يعيد تطلعه الصامت إلى صديقه أحمس.

كان ينصحه بما كان يعلمه من قليل المعلومات عن تلك الحقبة التاريخية بما يمكن أن يفيده كقائد له مكانته في التاريخ

الفرعوني ولكن محمودا كان حريصا على ألا يستخدم ما يعلمه بما هو قادر على إحداث أي تغيير في الأحداث القديمة لكنه حذر صديقه أحمس بن أبانا من الثورة التي أقامها الهكسوس على أحمس دون قصد منه ولكن على الرغم من استيائه الشديد من فعلته إلا أن هذا كان له الأثر الأكبر في كسبه لثقة أحمس ابن أبانا، أما ما عدا ذلك فقد كان حريصا كل الحرص ألا يظهر شيئا من معارفه المستقبلية إلا في أضيق الحدود.

كان التدخل في الخط الزمني للمستقبل بصورة مباشرة كفيلا بإحداث تقلبات تاريخية مستقبلية تحدث الكوارث الكبرى. وعلى الرغم من ذلك كان القلق والخوف يعصف بقلبه وعقله فهو يعلم تماما تلك النظرية التي كان يسخر منها في قوة في مستقبله البعيد، تلك النظرية المسماة "الفراشة"، أن أي تغير في الماضي حتى وإن كان بسيطا للغاية يولد مجموعة من التغيرات وسلسلة متتالية من النتائج التي تبدأ بسيطة ثم تتسع كموجة الماء لتصبح في النهاية عاصفة عاتية ولكن وجوده هنا دليل دامغ على أن ما فعله لم يحدث تغييرا شاملا وإلا لاختفى وجوده في هذا المكان طبقا لتلك النظرية.

تنهد في قوة وهو يضع كلتا يديه على عينيه في قوة محاولا تجميع شتات أفكاره ثم اعتدل في ترقب وقد انتبه على صوت

صديقه أحمس بن أبانا وهو ينتظره في ترقب وقد توقف بعربته أمام أبواب المعبد فحدق فيه مبهوتا وكأنه يراه للمرة الأولى ثم وقف وهو يتنحنح في بحة مصطنعة أراد أن يواري بها ما استطاع ما هو فيه من شرود وفكر.

شعر أحمس بما فيه صديقه من اضطراب فقال وهو يطلب منه الجلوس على إحدى المصاطب المتناثرة أمام المعبد ويتطلع بعيونه الثاقبة:

-يا أخي "تى" لا أعلم كيف أستطيع أن أخرج ذلك الحزن الذي أصبح منقوشا على وجهك كأن جدارية على حجر جرانيتي وأنا لا أنكر فضلك علي؛ فقد ساعدتني كثيرا وأرشدتني في القضاء على ثورات الرعاة ولسنا ندري ما كنا سنفعل بدونك وألزمتني بأن أكتم سحرك عن مولاي الفرعون واستحققت أنا كل الثناء.

هب محمود واقفا وهو يقول:

-لا يا أحمس من الضروري ألا يعرف مولاي الفرعون أو كبار الكهنة خاصة "تحوتي"؛ فإنه شديد الكراهية لي.

نظر إليه أحمس بن أبانا وهو يرد متعجبا:

-وهل يقدر الكاهن تحوتي على سحرك؟! إنك تعلم ما سيأتي

وما أتى. وتعلم إحياء الموتي وتجعل من أشياء حولنا سحرا لا يبارى أعلم أنك رسول إيزيس حتى وإن ادعيت غير ذلك. لماذا لا ترغب في النساء أم أن رسل آمون لا يقربون النساء؟ دعني أجلب لك من تخفف ما أنت فيه من عناء يا أخي "تى" إنها المرأة يا أخي (تي) إنه الحب.

تطلع إليه محمود مبتسما وهو يقول:

-هل تحب زوجتك يا أحمس؟

رد أحمس ملهوفا:

-بالطبع يا رسول آمون إن الحب هبة السماء تسكبه الطبيعة في كأس الحياة لتخفف من مرارتها.

اتسعت ابتسامة محمود وهو يتطلع إلى ملامح أحمس وهو يتعجب من عبارته وهو يحاول أن يربطها مع صرامته وشراسته الحربية دون أن يجد لذلك التنافر علاقة.

فقال: ما أشد ما أقدّرك أخي أحمس ولكن اصرف عنك ما تفكر فيه فقلبي منغلق على من فيه.

كان رد محمود النافي قاطعا فمط أحمس بن أبانا شفتيه متعجبا وربت كتفيه في قوة قائلا:

-سأتركك ولنلتق بعد عودتي سأضطر للتغيب لعدة أيام.

وكأن محمودا لم يستمع لما قاله صديقه شاخصا ببصره بعيدا وقد لمعت الدموع في عينيه وقلبه ينبض عشقا وحبا لزوجته الحبيبه سهام ولطفله الصغير (هشام)

******

الفصل السابع

استيقظت سهام في السابعة صباحا لتطلع في لهفة إلى صغيرها النائم في الفراش المقابل وما إن رأته حتى اطمأن قلبها. كانت تمسك بهاتفها في قوة وجلد وعيناها مصوبتان نحو صغيرها (هشام) كانت تعلم أن عمها الدكتور أحمد سعيد سوف يتصل بها فور رؤيته لاتصالها.

وبالفعل ما إن حانت الساعة الثامنة صباحا حتى رن هاتفها فأجابت في سرعة قائلة: عمي أريدك أن ترشدني إلى أحد أساتذه التاريخ الفرعوني حيث.....

بترت عبارتها فجأة وهي تضع يدها على جبهتها فقد شعرت أنه ليس من اللائق أن تحادث عمها دون أن تلقي عليه التحية أو تطمأن عليه فبادرت قائلة:

-آسفة يا عمي ولكن سأفسر لك كل شيء عند تلاقينا. ولكني أحتاج إلى رقم أي من أساتذة التاريخ الفرعوني أرجوك يا عمى.

سمعت صوت عمها على الناحية الأخرى وهو يقول:

-أين أنت الآن يا سهام؟

قالت سهام في توتر ولهفة:

-أنا في الأقصر

قال عمها:

-وماذا تفعلي ف...

قاطعته سهام في حدة واضحة قائلة:

-عمي أرجوك سأفسر لك كل شيء ولكني بالفعل أحتاج بشدة إلى ذلك.

قال عمها وقد أسلم أمره لواقع لهفتها:

-لديك بجامعة جنوب الوادي أخي يوسف عباس أستاذ التاريخ الفرعوني.

فسجلت الرقم الذي أملاها عمها لها في سرعة في أجندة صغيرة وشكرت عمها في سرعة فبادرها قائلا:

-الأفضل أن تذهبي إليه وسأتصل به لأبلغه بقدومك.

كررت شكرها وأمسكت هاتفها في قوة وقلبها ينبض في عنف وأرادت أن تنتظر قليلا ولكن التوتر كاد يأكل قلبها كنار عاتية ريثما يتصل عمها بالدكتور يوسف ولم تستطع الصبر طويلا فضغطت أزرار هاتفها وهي تسمع رنين الهاتف على الناحية الأخرى بطيئا ثقيلا كأنما استغرق الرنين ساعات كاملة حتي جاءها صوت ناعس بلكنة صعيدية واضحة ملقيا التحية فردت سهام في سرعة قائلة:

-آسفة دكتور يوسف ولكني ابنة أخي الدكتور أحمد سعيد أستاذ القانون الدولي

وأرغب في رؤيتك لأمر قهرى.

ران صمت على المحادثة ليبدو وكأن الطرف الآخر لا يستوعب الأمر أو هو ما زال تحت سيطرة أمر النوم فأجاب في تردد: أنا حاليا بالأقصر ولست.....

قاطعته في غير لباقة قائلة:

-أنا بأحد فنادق الأقصر وأستطيع الحضور لأي مكان تريد. إنه أمر بالغ الأهمية.

لم يجد الدكتور يوسف سوى أن يدعوها لمنزله ويمليها العنوان تفصيليا حيث إن علاقته بالدكتور أحمد قوية.

لم تمر ساعتان إلا وكانت سهام ترافق ابنها (هشام) في منزل الدكتور يوسف الذي يقطن في قرية تسمى (حجازة قبلي) لا تبعد عن الأقصر أكثر من ساعة واحدة.

استقبلها بود وترحاب لا عجب فيهما فهذي شيم أهل الصعيد مع كل من هو غريب عنهم

جلس الدكتور يوسف قبالتها وهو يمسك كوبا من الشاي داعيا إياها إلى تناول كوبها.

احتضنت سهام كوب الشاي بكلتا يديها وكأنها تستمد منه الطاقة لإزالة التوتر المسيطر عليها.

احترم الدكتور يوسف صمتها وهو ينظر إليها مترقبا ثم وضعت الكوب فجأة وفتحت هاتفها وهي تقول:

-أرغب في ترجمة تلك العبارة الفرعونية في هذا النقش.

مد الدكتور يوسف يده في عجب وهو ينظر إليها كأنها امرأة مجنونة.

فقد كان يمكنها أن ترسلها عبر رسائل الواتس كما أن الأمر لا يستحق كل هذا التوتر والاهتمام.

حاول أن يفسر الأمر ولكنه هز رأسه في اندهاش واضح.

نظر الدكتور يوسف في هدوء إلى العبارة المنقوشه أسفل الصورة الجدارية المصورة على هاتف سهام. وضع الدكتور يوسف نظارته وهو يقرب نظره من هاتفها ولم يستغرق وقتا طويلا رافعا رأسه وهو يمط شفتيه مترجما لها العبارة التي هبطت على رأسها

كصواعق أساطير الإغريق تلك العبارة التي كان يناديها بها محمود دوما

(لن أنساك يا زهرة اللوتس)

******

فوجئ محمود برسول من الكاهن الأكبر "تحوتي" يطلب منه المجيء على وجه السرعة.

توتر محمود وهو يسير خلف الجندي وهو يخترق ممرا طويلا تراصت على جانبيه المشاعل مطلقة تلك الظلال الراقصة على جداريات المعبد وتلك التماثيل المتراصة لوجه أنوبيس أو غيره من آلهة العالم السفلي فعكست لوحة غاية في الرعب. ولكن محمودا كان قد اعتاد على رؤية تلك التماثيل التي كانت تمثل له في مستقبله أساطير وتاريخا من الرعب والمجهول إلا أنها الآن أصبحت مجرد واقع مفهوم جزئيا فعلى الرغم من حياته الجديدة والتي قضى فيها ما لا يقل عن أربع سنوات كاملة إلا أنه حرص على عدم الخروج من المعبد متنكرا ومحتميا بتلك الوظيفة التي جعلت منه مساعدا للكهنة و.....

قطع عليه تفكيره توقف الجندي أمام باب الحجرة التي يوجد بها الكاهن "تحوتي"

بلع ريقه في توتر شديد وهو يدلف إلى داخل الحجرة ليطالعه الكاهن "تحوتي" خلف أضواء المشعل الوحيد بالحجرة.

ألقى محمود التحية في خفوت وهو يتطلع مترقبا للكاهن تحوتي فرد تحيته في صوت عميق كأنه خارج من بئر عميق مردفا:

-كيف حال كاهن آمون؟

تلعثم محمود وهو يقول:

-باركك الإله سيدي الكاهن على أتم حال برعايتكم لنا.

تحرك الكاهن "تحوتي" في بطء وصوت احتراق الشعلة يسيطر على جو الحجرة ليضفي على المكان لمحة رعب حرص كهنة آمون على أن تستمر من عصر إلى عصر ليظفروا بتلك المهابة التي تسيطر على عقول الملوك والعامة على حد سواء.

مرت لحظات حتى قال الكاهن "تحوتي":

-الجميع يتعجب أيها الكاهن "تي" من دخولك إلى معبد آمون دون أن تمر باختبارات الإله آمون. نعلم جمعيا علاقتك بالقائد أحمس بن أبانا ولكن الكهنة بدأوا يتحادثون عن الأمر.

لم يدر محمود ماذا يقول ولكنه ازدرد ريقه في صعوبة واتسعت عيناه رعبا.

كان الجميع يعلم بأمر هذه الاختبارات المميتة التي تجري للكهنة الجدد أسفل معبد آمون والتي لا ينجو منها إلا من أراده الكهنة الكبار.

وعلى الرغم من توتره وفزعه إلا أن محمودا رد قائلا:

-سيدي كبير كهنة فرعون لقد خدمتكم لخمس سنوات. إن مولاي الفرعون العظيم أحمس قاهر الهكسوس قد وهبني خدمتكم فأنت الكاهن الأكبر و.....

قاطعته صيحة "تحوتي":

-لقد أخذت الإذن من الفرعون الإله وقد آن الأوان لأن تجتاز اختبار الكهنوتية.

التفت خلفه في ذعر وقد قاطعته صيحة أخرى للكاهن "مين منتو" والذي بدا كأنه ظهر من العدم قائلا في خبث واضح:

-نعم ولكن مم الخوف ألست أنت رسول آمون رع كما يقول الجميع؟

إذن سيحميك الإله آمون.

وسقط قـــــلب محمود....

******

الفصل الثامن

صرخت سهام وهي ممسكة بهاتفها:

-لن أترك الأقصر يا أمي حتى أعلم ما حل بزوجي.

هدأ صوتها فجأة وقد شعرت بأنها أخطأت في محادثة والدتها بهذه العصبية وقالت:

-يا أمي إذا كان من المصادفة أن يكون وجه ذلك الكاهن الفرعوني على الجدارية الموجود بمعبد الكرنك فهل من المصادفة أيضا أن تكون العبارة هي نفس ما كان يناديني به محمود لقد كانت العبارة المنقوشة على الجدارية "لن أنساك يا زهرة اللوتس"

صمت لحظات وبدا وكأن الأم تحاول إقناعها بخطأ استنتاجها فلم تجد سهام إلا أن تزفر في قوة وهي تقول:

-حسنا يا أمي سأبقى عدة أيام هنا حتى أستريح قليلا لا تقلقي.

تركت هاتفها وبدأت تتحرك في عصبية وهي تفرك يدها في عصبية وابنها (هشام) يحرك رأسه في ذهاب وإياب معها مبتسما في براءة وبدأت تسترجع ذلك اليوم الذي اختفى فيه محمود جزءا فجزءا حينها كانت تحمل ابنها (هشام) ولم يكن قد أكمل عامه الثانى تذكرت وهي تتحرك في سرعة نحو بوابة المعبد وأصوات الحراس تطلب من الجميع الإسراع نحو البوابة والخروج من بهو الأعمدة والأمطار تتساقط في حدة وتلك الأصوات العالية من

الرعد المدوي وسيوف البرق وهي تخترق أستار السماء ومحمود يضع يده اليسرى خلف ظهرها ويده اليمنى على جسد (هشام) وكأنه يحميه.

أجزاء من الثانية هي التي شعرت فيها بعدم الإحساس بكف محمود على ظهرها لتلتفت لتجد أنه وبكل بساطه غير موجود. استجابت وقتها للاستسلام بفكرة أنها لم تلحظه خلال الزحام ولم تشعر به ولكنها بالفعل ما بين الإحساس بكف يده وعدم الإحساس بها كانت عيناها بعيدة عنه لجزء من الثانية لذلك هي الوحيدة التي يمكن ألا تصدق بموته أو أن اختفاءه كان بالأمر الطبيعى.

أحضرت بعض الأوراق وبدأت تكتب ما حدث في ذلك اليوم للمرة المئة أو أكثر

ثم بدأت تضع عددا من الاحتمالات التي يمكن أن تفسر اختفاء زوجها حتى وإن كانت بعيدة وقلبها يدق في قوة لأحد الاحتمالات فقد بدا ذلك التفسير مخيفا مزعجا يرفضه القلب بشدة وإلحاح ولكن جميع الأحداث وتلك الصورة المنقوشة على جدارية المعبد والتي تبرز بوضوح وجه زوجها وعبارته التي تركها وكأنها رسالة جدارية عبرت حواجز التاريخ والزمن لتبلغها بمكان أو بالأحرى زمن وجوده.

نعم إن زوجي انتقل زمنيا إلى عصر أحمس. لمَ لا؟!

قالتها سهام بصوت عال وهي شاردة في المجهول ثم تحركت في سرعة وأحضرت حاسوبها الشخصي وبدأت تجمع الأبحاث المنشورة عن الانتقال عبر الزمن من الماضي للحاضر أو الحاضر للمستقبل.

كانت سهام تعلم أن كل تلك المنشورات ما هي إلا اجتهادات فردية من بعض العلماء تعتمد على الافتراض وبعض المبالغات والروايات الخيالية وكان أقرب تلك النظريات إلى عقلها ما قاله أينشتين في نظريته الشهيرة نظرية النسبية.

بدأت تقرأ بصوت عال وهي تتطلع إلى شاشة الكمبيوتر وكأنها تحاول أن تفهم ما تقرؤه عن طريق صوتها المتوتر. كانت الاحتماليه تقول بأن السفر عبر الزمن قد يكون ممكنا بتخفيف سرعة تصل إلى ٢٩٩٠٧٩٢ ك. م. خ الثانية ولكن هذا يمكن أن يدمر الجسد البشري تماما ولا يصلح إلا للجسيمات الصغيرة جدا وهذا أيضا أيضا غير قابل للحدوث إلا بوجود ثقب دودي بين الزمنين.

لم يرقها هذا التفسير وزفرت في قوة وقد شعرت بأن عقلها قد توقف عن التفكير فلو قال لها أحدهم في غير موضعها هذا بأن

تقرأ عن السفر عبر الزمن لضحكت في سخرية.

ولكنها لا تجد تفسيرا لما حدث معها إلا تلك النظرية حتى وإن كانت مستحيلة

فهذه النظرية هي الأمل الذي يربطها بعودة زوجها وحبيبها محمود

لن تتخلى عنه أو ليَضِعْ عمرها من أجله.

******

تحرك محمود بخطوات حذرة داخل الممر المظلم أسفل معبد آمون وقد وجد نفسه مجبرا على الدخول أسفل المعبد حيث المتاهة والموت المنتظر أو القتل بتهمة ادعاء الكهنوتية وخدمة الإله آمون خاصة أن الكاهنين قد استغلا عدم وجود القائد أحمس بن أبانا الذي قارب على العودة بعد اتجاهه بعيدا للقضاء على إحدى الثورات قرب أواريس التي تهدد عرش أحمس ابن سقنن رع.

كان محمود يعلم من خلال تلك السنوات القصيرة التي قضاها في ذلك الزمن الذي يسبق زمنه بأكثر من ٣٥٠٠ عام تقريبا أن

اختبارات كهنة فرعون تكون من خلال متاهة مميتة أسفل معبد آمون لا يعلم سرها إلا الكهنة ولا يورثون أسرار هذه المتاهة إلى أبنائهم من كهنة (تالين)

سمع عنها ما يفزع القلب ويشيب لها قلب الكبار قبل الصغار.

أخذ محمود نفسا عميقا وهو يقنع نفسه أن ما هو فيه مجرد مجموعة من الاختبارات وأنه لا وجود للإله ست أو أنوبيس أو أي من تلك الأساطير فهو مؤمن بالله ما زال نور الإيمان مضيئا داخله.

استجمع شجاعته وهو يختبر موضع قدميه متجها نحو الضوء في آخر الممر المظلم. وفجأة توقف قليلا وقد لاحظ حركة ما في ضوء انعكاس تلك الشعلة الوحيدة في آخر الممر.

تطلع في قوة محاولا اختراق قوافل العتمة الدامسة وقلبه يدق في عنف وكأنه يتناغم مع تلك الخطوات الرتيبة التي بدأت تخترق سمعه وهي تندفع نحوه بلا هوادة فحاول اختراق حجب الظلام دون فائدة تذكر فبدأ يتقهقر إلى الوراء حتى ارتطم بحائط خلفه فارتد في عنف وهو يتأوه في ألم وكأن الجدار يعيده إلى حلبة صراع يونانية مرة أخرى

بدأ يتحسس الحائط جواره وصرخ في قوة وهو يشعر بأجسام صغيرة تتحرك على أصابع قدميه فانتفض في قوة وهو يتراجع إلى الوراء ليصطدم مرة أخرى بالحائط الذي سرعان ما انزاح حول محوره ليسقط على ظهره في عنف ويعود الجدار للانغلاق مرة أخرى.

تحرك محمود في حذر في جوانب الحجرة في توتر وعيناه تواصلان في إصرار اختراق عتمة الحجرة التي سقط فيها وقد تراكم فيها الظلام بطريقة بشعة وتسارعت أنفاسه لتشارك دقات قلبه في طرق أبواب أذنه وسط صمت خارجي مطبق يؤدي بعقل أعتى الرجال إلى حافة الجنون.

وكأن كل عتاة التاريخ يصرون على استخدام هذه الطريقة الظلامية كأسرع وسيلة لعقاب من أوقعه الزمن في براثنهم.

بدأ يشعر أن ما يفعله معه الكاهنان (تحوتي) و(مين منتو) يشبه أحداث تلك القرابين البشرية التي كانت تقدم للآلهة كما كان يقرأ عنها.

انتبهت حواسه فجأة وعاد لواقعه المخيف بعد ما ارتطم جسده في عنف بشيء ما فتأوه في قوة وهو يتحرك في بطء مادا ذراعيه إلى الأمام وبدأ يتحسس ما أمامه فبدا له كتمثال منتصب

في منتصف حجرة الظلام.

كانت كل خلية في جسده تئن في قوة، وعلى الرغم من ذلك نطق صوته جو الغرفة في قوة قائلا وكأنه يحادث نفسه: لا تستسلم يا محمود أنت تعلم تماما أن كل متاهة بشرية مهما أحكمت حلقاتها فإنها من صنع البشر ووضعت بحيث يمكن اجتيازها.

هدأت أوصاله وربض عقله في هدوء وبدأت أنفاسه تنتظم وهو يتقدم في حذر متحسسا بيديه ملامح ذلك التمثال ثم بدأ يتحرك معتمدا على جدار تلو الآخر حتى تيقن تماما أن الحجرة لا منفذ لها إلا من فتحات وشقوق صغيرة لم يدر سببا لوجودها أو لانتشارها الواسع على جدران الحجرة.

وما إن عادت قدماه العمياوان إلى حيث التمثال في منتصف الحجرة حتى دق قلبه في عنف وهو يسمع صريرا لآلاف المخلوقات الصغير ة التي تتدفق كالمياه من تلك الشقوق

كانت خمس السنوات التي قضاها في هذا العصر كفيلة تماما ليدرك عقله المفزوع أن الأصوات هي لآلاف العناكب السامة التي يطلق عليها الأرملة السوداء تسعى حثيثة في ظلام ما يحيط بها أن تستولي على فريستها.

زادت نبضات قلبه دقا ومسامعه تلتقط تلك الأصوات الخافتة التي تتحرك قرب جدران الحجرة وكأنها تتجمع في جماعات منفصلة وزاد توتره والأصوات تخترق حواجز الصمت في قوة وتشل أعتى العقول عن التفكير لما أحاط به من العناكب القاتلة والتي اعتاد كهنة فرعون أن يعاقبوا بها من عارضهم أو شكك في قوتهم.

بدأ يحرك يديه في بطء متحسسا لذلك التمثال وحمد الله أنه كان ملاصقا للتمثال قبل أن يطلق كهنة آمون عناكبهم القاتلة. امتدت يداه ترصدان ملامح التمثال في رفق وهو يغمض عينيه في بطء وتركيز وهو يعلم تماما أن نجاته تكمن في ذلك التمثال فما وضعه الكهنة إلا ليكون رمزا ليهب من يكتشف سره أحقية الخروج من هذا السجن الرهيب.

كان التمثال بلا يدين مملوءا بنقوش بارزة بلا تجاويف ظاهرة. امتدت يداه مرة أخرى محتضنا التمثال كاملا بذراعيه وكأنه يلتمس منه معرفة سره فيهديه النجاة من خطري الظلام وأصوات تدفق تلك العناكب. يزيد الأمر بشاعة في عقله ورعبا في قلبه المسكين أنه لم يكن عسيرا عليه أن يكتشف أن التمثال يجسد شكل امرأة وقد برز ثدياها واضحين لملمس يديه فارتفعت يداه في سرعه لأعلى التمثال لتتحرك أصابعه في لهفة تتحسس أعلى التمثال

وكأنها عشرات الأعين التي تصف له ما أراده. بدا واضحا أن رأس التمثال يمثل حيوانا ما بشعر ضفائري مستدلٍ. بدأ عقله يسترجع آلهة ذلك العصر حتى تكاملت الصورة في ذهنه فبرقت عيناه وكأنها تخترق حاجز الظلام وقد أدرك عقله أن الرأس تمثل رأس اللبؤة تفتح فمها باتساعه وقد برزت أنيابها الحجرية فقال في خفوت: الإله سخمت.

صمت قليلا وهو يسترجع ما يعلمه عن ذلك المعبود القديم فهو يعلم تماما أن الإله سخمت هي أقدم الربات الفرعونيات وكان الجميع بما فيهم صديقه أحمس بن أبانا يحتفلون بها كل عام ويتجرعون النبيذ ويصبونه كالأنهار في مهرجانهم السنوي في إشباع رغبه إلاهتهم المقيتة الصارمة للدماء. كانت بالنسبة إليهم في ذلك العصر الحامية لأحمس في حروبه ضد الرعاة.

ويقال بأنها أسرفت في قتل الناس حتى كادت تبيد البشر ولمنع شهوتها للدماء قام الإله رع بتحويل مياه النيل إلى اللون الأحمر فشربت منه حتى ارتوت ومن يومها ربط الفراعنة بين الطمي الأحمر للنيل وارتواء سخمت من تعطشها الدائم للدماء.

دارت كل تلك الأفكار في رأسه سريعا وأصوات العناكب تهاجم كل فكرة برأسه في قوة وهو يحاول الربط جاهدا بين وجود تمثال الإلاهة سخمت وخروجه من هذا المأزق الرهيب.

ضغطت أصابعه على ما قابلها من نقوش بارزة في لهفة دون فائدة تذكر.

كان محمود يعلم أن الخطر الأكبر ليس هو الظلام وإنما كان الخوف كل الخوف من سموم تلك العناكب القاتلة التي يسري سمها في دماء ضحيتها وما إن وصل إلى هذه النقطة حتى صرخ عاليا: نعم إنها الدماء.

أطبق فمه متوترا وقد لاحظ ذلك التوقف المفاجئ لأصوات وحركات العناكب السامة وقد استجابت لصرخته وقد حددت هدفها وكأنها ترتب جيشها قبل الهجوم.

دارت عيناه حوله في قلق وهو يتوقع في أي لحظة أن تناله الوخزات القاتلة فأسرع واضعا معصمه بين فكي الإله سخمت وقد ربط عقله ببراعة بين تقديم الدماء كقربان لها وفتح منفذ تلك الحجرة الملعونة وصرخ في قوة متألما وهو يضغط معصمه في قوة ليحشره بين فكي التمثال لتسيل قطرات دمائه الساخنة في فم الإله سخمت ومرت اللحظات كأنها السنين وارتاع قلبه فزعا بعد أن جاوبه الصمت المطبق إلا من أصوات تلك المخلوقات العنكبوتية وهي تقترب منه ولم يجد إلا الدعاء والاستسلام لقدر الله. وفجأة صك سمعه صوت جدار يتحرك وشق شعاع من الضوء المفاجئ إلا أنه تحرك مسرعا تجاه تلك الفجوة الجدارية

التي نتجت عن تحرك الجدار هاربا من ذلك الجحيم قبيل لحظات فارقة من سموم تلك العناكب. وما إن اجتاز تلك الفجوة حتى عاد الجدار لموضعه في صرير مخيف مزعج لأذنه كأنه الموسيقى الهادئة لقلبه المسكين وقد حال الجدار بينه وبين خطر العناكب والظلام.

شعر محمود بضوء يخترق عينيه فأغلقهما في قوة وعيناه لا تحتملان ذلك الانتقال اللا مفهوم من الظلام إلى الضوء بتلك السرعة الشديدة. أعاد محمود فتح عينيه في بطء وهو يتطلع لتلك الغرفة الجديدة وقد ارتاع وهو يعلم أن متاهة الكهنة لن تنتهي بما هو فيه من عذاب مستمر. زفر في قوة وهو يعيد التطلع لذلك السجن الجديد بما فيه من مشاعل وتمثال واحد ولكنه يمثل الإله ست إله الشر عند الفراعنة... تطلع حوله في قلق وهو لا يدري أيدعو الله حامدا على نجاته من تلك العناكب السامة أم يدعو الله لينقذه مما هو فيه الآن؟! كان كل ما عليه أن يصل للطرف الآخر من تلك المتاهة الجنونية أسفل المعبد ولكن كيف السبيل إلى النهاية وهو يعلم أن المئات من الكهنة الصغار قد لقوا حتفهم فيها.

بدأ يتطلع حوله ليجد ثلاثة نقوش عبارة عن عين فوقها قرص الشمس وشكل ساق نبات البردي.... بدأ بتحسس النقوش وبدا له

أنها قابلة للضغط فرفع يده في حذر والتفت حوله في توتر وهو يسمع صوت هدير مياه تندفع في قوة داخل الحجرة بسرعة كبيرة.

تطلع مرة أخرى إلى تلك النقوش البارزة وهو يعلم علم اليقين أن أحدها هو السبيل للخروج من تلك الغرفة المحكمة وذلك السجن المائي الذي بدأت مياهه تتصاعد في سرعة ولهفة وكأنها تسعى لكتابة نهايته في أعمق أعماق معبد آمون.

وصل الماء إلى سقف الحجرة ومحمود يلتفت حوله وعقله يعمل بسرعة رهيبة مع تدفق الأدرينالين في جسده. استنشق كمية من الهواء قدر ما يمتلئ بها صدره وسبح تجاه النقوش وشعر بحركة ما خلفه وخيل إليه أنه يرى ظلا لطفل صغير ولكنه سرعان ما ربط بين نقص الهواء في صدره وتلك التخيلات. لم يجد مهربا من اتخاذ قراره المخيف الضغط على النقش الذي ربط بينه وبين ست إنها عين الشمس فإنها رمز إيزيس للقضاء على ست.

وامتدت يده وقد غامت عيناه لتضغط على ذلك النقش وشهق محمود وابتلع من الماء ما يكفي ليحدث نفس الأثر الذي فعلته عشرات السهام التي خرجت من جدار الحائط ليرتشق بعضها في أنحاء متفرقة من جسده. واصطبغت المياه الفرعونية بدماء محمود.....

الفصل التاسع

قاربت الساعة على الثالثة صباحا وتطلعت سهام إلى صغيرها (هشام) مطمئنة عليه ثم فركت عينها في قوة وعادت للالتفات مرة أخرى إلى شاشة الكمبيوتر وهي تكمل بحثها عن الشبكة العنكبوتية وقد تكشفت لها مئات النظريات ولكنها كانت تجد في نهاية كل بحث ما يجعل عقلها يأبى في إصرار هذه النظرية التي بدأت ترى أنها سخيفة للغاية فأغلقت شاشة الكمبيوتر في تثاقل وقد فقدت الأمل تماما أن تجد تفسيرا علميا.

بدأت سهام تحادث نفسها وصوتها يشق صمت الحجرة مستلقية على فراشها وقد أسلمت رأسها إلى مخدع قطني شاخصة إلى سقف الحجرة قائلة في بطء: حتى إن اعترفنا بأن ما حدث هو انتقال زمني وأن محمودا قد انتقل بطريقة ما إلى زمن أحمس فكيف يمكن أن أصل إليه وأعود به لأنقذه من ذلك الزمن؟ وإن كان محمود بالفعل في ذلك الزمن فلم اكتفى بهذه العبارة المبهمة التي لا تقطع شكا بيقين.....

تثاقلت عيناها واستسلمت لثعابين النوم التي تخترق أنحاء جسدها في مكر وخداع واستجابت أطرافها فانتظمت أنفاسها ولم تشعر بذلك الضوء الذي لمع فجأة وانطفأ مصحوبا بذلك الفحيح الذي لم يدم إلا جزءا من الثانية. ولو انتظرت بضع ثوان أخرى لوجدت أن فراش (هشام) أصبح خاليا للمرة الثانية في يومين.

غالبها نومها وسحبتها دوامته بما فيها من أحلام فرأت نفسها وهي تحدق في ظلام دامس ودائرة من الضوء تخترق حواجز الظلام وتتسع تدريجيا وصوت يأتي من بعيد تلفتت حولها في فزع وجسد بشري غير واضح المعالم يقترب منها في خطوات تشبه قفزات حيوان بري وشهقت لتأبى أنفاسها الخروج مرة أخرى عندما لاحظت أن الجسد يحمل وجه حيوان يشبه وجه الثعلب.

تصاعدت حدة الهزات ودوي الصوت الذي يناديها بأمي.

شعرت باللهفة عندما ميزت صوت ابنها (هشام) واقترب ذلك المخلوق القريب وتسارعت نبضات القلب واستيقظت لتجد (هشام) أمامها يهزها في عنف. تنهدت وأغمضت عينها وقد اطمأنت أن كل هذا مجرد كابوس مخيف.

وما إن دققت النظر ل(هشام) حتى هبت واقفة مذعورة لتحتضن ابنها وكأن حلقات الرعب ودوامة الفزع وتلك المتاهة التي بدأت تأبى عليها إلا أن تجعلها تعيش أحلامها ودمعتها في مسلسل قلق مستمر.

كان (هشام) يقف وجسده يرتجف في قوة وخيط من الدماء يسيل من أنفه وقطرات المياه تتساقط من جسده.

كان أكثر ما أفزعها تلك المياه التي تجمعت تحت قدميه،

وتحت قدميه فقط وكأن جالونا كاملا قد انسكب في حيث يقف في مواجهتها دون أن يكون هناك أثر خطوات (هشام) المبللة في سائر أركان الحجرة.....

أغمض محمود عينيه وهو ساقط على الأرض مستندا بكفيه خلف جسده وقد أعماه الضوء وما إن فتح عينه حتى طالعته حجرة بها تمثال للإله ست إله الشر عند الفراعنة الذي يمثل جسد إنسان بصدر عار ووجه ابن آوى الذي يشبه الثعلب.

توتر محمود وهو يقف يتطلع إلى ما حوله وبدأ يتراجع في قلق وتوتر وهو يسترجع ذكرياته القريبة وعجب أنه يذكر أنه مر بهذا الموقف من قبل.

يتذكر أيضا امتلاء الحجرة بالماء وضغطه على نقش عين الشمس وبدأ يتلفت ويلمس جسده وكأن كل ما مر به كان كابوس مزعجا.

يذكر تلك السهام وقد ارتشقت في جسده. بدأ عقله يهدأ قليلا وهو يقول لنفسه: يبدو أن كهنة فرعون قد سقوه عقاقير الهلوسة.

نعم إن ما مر به هو ذلك ولكن كيف يتشابه كل ما مر به من أحداث مع صفات الحجرة.

شعر محمود بأن الأحداث ستكرر مرة أخرى وكأن أحدهم

أعاده إلى نقطة البداية ليعطيه فرصة في النجاة.

أسرع محمود إلى الثلاثة نقوش وهو يحاول استغلال الوقت قبل امتلاء الحجرة وهو يتأملها مفكرا ثم برقت عينه فجأة وهو يلتفت للتمثال الوحيد بالحجرة.

فلا يمكن أن يضع الكهنة ذلك التمثال دون أن يكون له فائدة ما. بدأ يتأمل التمثال جيدا وهو يدور حوله في ترقب وبدأ الماء في التدفق مرة أخرى دون أن يجد وسيلة ما أو يكتشف مهربا من ذلك السجن المائي الرهيب. وبدأ الماء يعيد كرته ليغمر فضاء الحجرة للمرة الثانية وكأن الأحداث مصرة على إكمال ما انتهت إليه في السابق فاستنشق محمود كمية كبيرة من الهواء ملأ بها صدره قبل أن تمتلئ الحجرة الفرعونية والتفت فجأة وهو يدير جسده بالكامل وفقاقيع الماء تمر هاربة من فمه وهو يتطلع إلى باقي الحجرة وكأنما أدرك عقله أن تلك النقوش البارزة الواضحة للعين وضعت بهذا الشكل لينخدع بها ويجري نحوها ويظن أنها طوق النجاة للخروج من هذا المأزق الرهيب وهي تحمل داخلها الموت محملا على ألسنة سهامها المختفية في حوائط الحجرة القاتلة.

بدأ تحسس النقوش للمرة الأخيرة وكأنما هو يتخذ قراره المصيري ثم استدار بجسده وسبح نحو تمثال ست وبدأ يتأمله ليشعر وكأن عينيه تلمعان بضوء باهت جدا ظهر مع وجود الماء

حوله وضاق صدره فأغمض عينيه وضغط على موضع العين بكلتا سبابتيه وسمع صرير باب وغاض تيار الماء الذي اتجه بكل طاقته نحو منفذ الحجرة الوحيد جارفا معه محمودا ليجد نفسه في بحيرة مستنقعية صغيرة يكاد الماء فيها يصل لإبطيه تصاعدت منها رائحة تزكم الأنفاس وتضيق الصدر بدأ يتلفت حولها في حذر وقد تسمرت قدماه وحدقتاه تضيقان وأذنه تحاول استقبال أي حركة مريبة.

كانت تلك البحيرة المستنقعية الخضراء يحيطها مرتفع صغير جرانيتي مرتفع أملس يجعل من المستحيل الصعود إلى بر أمانها ولاح له الأمل في الطرف الآخر من البحيرة عدة درجات صخرية حيث ينخفض مستوى ارتفاع الجدار كثيرا حتى يبدو وكأنه شاطئ منحدر يحمل معه النجاة لمن يلقيه قدره يوما في تلك البحيرة وبعوضها يهاجمه في شراسة وعناد. كان يشعر بهاجس متوقع وهو يتحرك في بطء شديد تتحسس قدماه موضعها جيدا قبل أن يكمل رويدا رويدا تجاه تلك السلالم ورأسه تدور في توتر متوقعا حدوث أمر ما في أي لحظة؛ فقد كان يعلم أن كهنة فرعون سيجعلون أقل أخطار هذه البحيرة هو ذلك البعوض المزعج ولم يكن يعلم أن سهام الغدر ترقبه في صمت.

لم تلتقط عيناه ذلك الجسد القابع في طرف البحيرة ساكنا لا يتحرك منه إلا عيناه وكأنه ينتظر اللحظة المواتية لابتلاع فريسته. تحرك ذلك الجسد في بطء بعد أن شعر باقتراب فريسته وأن المسافة بينهما تقلل من هرب فريسته منه.

أما محمود فقد بدأ يشعر بالأمل قليلا وقد اقترب كثيرا من طوق نجاته المؤقت تلك السلالم الحجرية وهولا يعلم ماذا ينتظره وراءها. وفجأة وبلا سابق إنذار شق صوت ضئيل طفولي حاجز الصمت المسيطر على المكان مناديا محذرا فالتفت حوله في توتر وقد علا حاجباه ودق قلبه فزعا. كان الخطر الذي رآه أقوى من أن يتوقف مفكرا عن مصدر ذلك الصوت الطفولي الذي حذره وكأنه ملاكة الحارس.

تمساح ضخم يتحرك نحوه في سرعة عالية فاتحا فاه لتلمع أنيابه في حدة تحت أضواء المشاعل التي وضعها كهنة فرعون وكأنهم يريدون لمن لا يموت من أخطار المكان أن يجن فزعا بما تعكسه من ظلال مخيفة تتمايل على جدران المكان وتماثيله.

تسمر محمود للحظات وهو يواجه الموت القادم الذي يبعث اليأس في قلوب أعتى الرجال شدة ولكن هيهات إنها الطبيعة التي حفرت في قلب الصعيد والتي تصنع من الأطفال رجالا. كان محمود بارعا في السباحة كمعظم أهالي الصعيد منذ منبتهم درس

عقله الأمر في أجزاء من الثانية وانتظر اللحظة المناسبة التي سيهاجم فيها التمساح فريسته وما إن اندفع التمساح نحوه وقد شعر بتملك فريسته حتى اندفع محمود في قوة وكأنه يبغي الانتحار قافزا في تجاه التمساح سابحا أسفله في قوة.

سبح التمساح إلى حيث الفراغ الذي كان فيه محمود واستمر جسده قليلا بسبب القصور الذاتي وساعد هذا محمودا على العبور من أسفله وما إن شعر التمساح بفرار فريسته منه حتى حرك ذيله في قوة ضاربا المياه في عنف فأصاب طرف ذيله قدم محمود الذي تأوه في عنف وقد اختلت حركته قليلا إلا أنه أكمل سباحته مبتعدا في بطء وتمالك التمساح نفسه وسبح عائدا متجها إلى محمود الذي تحامل على نفسه وهو ينظر خلفه في سرعة صاعدا ذلك الجرف الصخري والتمساح فاغرا فاه وأنيابه تقترب في سرعة رهيبة ولاحت للتمساح الفرصة وهو يرى قدمي محمود قريبة منه فأطبق أسنانه في قوة في نفس اللحظة التي تمسك فيها محمود بقدم أحد التماثيل في نهاية السلالم الحجرية وشد قدميه بكل ما تبقى له من قوة ليسمع محمود صريرا كاصطدام عمودين من الحديد ببعضهما البعض وقد أطبقت أسنان التمساح على الفراغ وارتد محمود إلى الخلف في عنف وهو يتطلع إلى التمساح الذي يبرق إليه بعينين غاضبتين ثم استدار في بطء وهو يتلوى

مبتعدا ساخطا لفرار فريسته منه وشاء القدر أن يكون له فرصة أخرى في ذلك المكان الرهيب.....

******

الفصل العاشر

أسرعت سهام والتقطت الغطاء الموجود على سريرها ووضعته على جسد صغيرها ونياط قلبها تكاد تتمزق خوفا على ابنها الصغير.

أحضرت بعض الملابس الجافة وألبسته إياها وهي تحاول أن تهدئ من روعه وتحتضنه وهي تحرك كفيها على جسده بقوة وكأنها تحاول أن تمده بالطاقة والحرارة برحمة قلب طبعه الله في كل أمهات الدنيا على أن يرق لقطعة من جسدها.

انسابت الدموع من عينيها وتثاقلت دقات القلب وهي تجلس على طرف فراشها واضعة وجهها بين كفيها وهي لا تدري تفسيرا لما يحدث لابنها.

بدأ الأمر ينقلب من حبها لزوجها وتوهم وجوده أو فهم اختفائه إلى القلق على ابنها الوحيد.

زفرت في قوة وهي تعيد النظر إلى ملامح ابنها فتطلع إليها بعيون بريئة وابتسامة طفولية.

كان قد بلغ من العمر ست سنوات ولكم حارت في الكثير من تصرفاته ونبوغه وصمته الدائم ولحظات اختفائه غير المبررة.

ابتسمت وقد تذكرت عبارته في معبد الكرنك قائلا: لها ها هو أبي و.....

فجأة برقت عيناها واتسعت حدقتاها في حدة حتى كادتا تقفزان من مكانها.

كيف يمكن ل(هشام) أن يذكر ملامح أبيه بهذه الدقة حتى وإن رأى مئات الصور له.

نعم إنها تعلم ذكاء ابنها الحاد وتصرفاته العبقرية حتى هذه التصرفات لا تتلائم مع طفل صغير.

ثم ذلك الاختفاء الغامض وعودته اللا مبررة منذ عدة أيام ثم ذلك الماء وكأنه قد سقط في مسبح للمياه.

تدفقت الخواطر والأفكار وبدأت بعض الخيوط تتجمع في ثنايا عقلها وبدأت تفسير يقترب من باب حجرات عقلها وشع ضوء في ظلمات التساؤلات وكانت شمس كل تلك التساؤلات تتجمع حول نقطة واحدة ابنها (هشام).

فاقتربت منه وهي تتأمله في حيرة وبدا منشغلا بمتابعة فيلم كرتوني على التلفاز وجلست جواره قائله: (هشام) هل تتذكر والدك جيدا؟!

رد (هشام) في سرعة: نعم

تنحنحت الأم وهي تجمع شتات نفسها وذلك الخاطر المسيطر عليها يمنعها من السيطرة على انفعالتها وأردفت قائلة في

توتر: هل. .... هل.

تنحنحت مرة أخرى وهي تتلفت حولها وكأنها تخشى أن يسمعها أحدهم فيسخر منها: هل تراه يا (هشام)؟

تسمر (هشام) وهو يحدق في شاشة التلفاز وكأنما يدير سؤال والدته في مخيلته ثم التفت إليها في بطء وحذر وكأنه يخشى ردة فعلها ثم قال في حركة غريبة وبكلمة واحدة: كثيرا.

دق قلب سهام في قوة وهي تقفز واقفة لتجلس أمام (هشام) وهي تضع يديها على ركبتيه وهي تقول في سرعة: هل هو حي؟... هل تعرف ماذا حدث له؟

أمال (هشام) رأسه يمينا ثم يسارا وهو يحاول رؤية شاشة التلفاز مرة أخرى ليتابع فيلمه الكرتوني في براءة وطفولة فصرخت الأم في (هشام) فنتفض الصبي في عنف وهو يحدق في عيني أمه وقد تكور جسده محتضنا نفسه في رعب فأغمضت عينيها وزفرت وهي تحاول أن تتمالك قوتها وتوترها. فخفضت من صوتها وهي تتطلع إلى عينيه في حنان واضح ودموع واثبة خارج مخابئها وخرج ذلك الصوت باكيا حزينا قائلة: (هشام) لا تقلقني عليك يا ولدي. قل لي كيف اختفيت وكيف عدت إلى فراشك بكل هذه السرعة وكيف وصل الماء إليك بهذا الشكل؟

كانت كل استجابة (هشام) هي التحديق في عيني أمه دون أن ينبس بحرف واحد.

وانتفضت في عنف مع صوت الرعد الشديد وذلك الضوء اللامع الذي رسم آلاف الظلال داخل الحجرة وبدأ المطر في الانهمار قويا في لحظات أعاد لها ذكرى اختفاء زوجها مصحوبا بذلك المطر والرعد الشديد. شعرت وكأن ما تكرر مع زوجها في تلك العاصف الغريبة منذ خمس سنوات مضت سيتكرر مع ابنها الوحيد.

لمحت في عين ابنها ذلك الرعب المفاجئ الذي بدأ يسيطر عليه وتلك الاهتزازت المتتالية وكأنه بالقطب الجنوبي فاحتضنته في لهفة وهي تقسم أنها ستنسى كل شيء إلا هو. قررت في هذه اللحظة وهذه اللحظة فقط أن حياة ابنها أهم مما تحاول إثباته وجاء قرار السفر قاطعا هذه المرة.

******

صرخ أحمس بن أبانا في الكاهن "تحوتي" قائلا: كيف يمكن أن تفعلا ذلك مع الكاهن "تى" إنه أخي؟ ولو علم الفرعون بذلك الأمر فسيكون غضبه شديدا.

صمت وكأنه يستجمع قواه للصراخ مرة أخرى ثم نظر إليهم بعيون شرسة غاضبة قائلا في بطء وتهديد متعمد:

-لقد استغللتما فترة غيابي عن طيبة لتفعلا فعلتكما سأخبر مولاي أحمس وسيحل عليكما غضبه.

فرد الكاهن "تحوتي" في خبث:

-ومن أدراك بعدم علم مولاي الفرعون؟

صمت قليلا وهو يرى وقع عبارته على أحمس بن أبانا ثم أردف قائلا:

-أنت تعلم أيها القائد أن الكهنوتية تورث ولا تكتسب ولا يمكن أن نعطي الكهنوتية لمدح أفاق لا نعلم له مكانا. ثم إنه لو كان رسول الإله آمون فسيخرج من المتاهة وسيحميه الإله حورس. وحينها يستحق أن يكون كاهنا للإله آمون رع.

قال عبارته الأخيرة بصوت عميق وهو يدق بعصاه في قوة وقد انعكست أنوار المشاعل على وجهه فزادته بشاعة ورعبا طالما حرص كهنة آمون أن يضفوها على أنفسهم.

تطلع إليه القائد أحمس وقلبه يعتصر وهو يدعو ألا يكون مكروه أصاب صديقه "تى"

وتحرك مسرعا نحو مهجع الملكة الأم "أمنح حتب" وهو يدعو ألا تكون المتاهة الكهنوتية قد سبقته وابتلعت صديقه تي. لاقاه خادمها "إيوف" على باب البهو الملكي للأم الملكة وهو يرفع يده في صرامة لا تتناسب مع منصبه كخادم في مواجهة قائد جيوش الانتصار على الهكسوس ولكنه خادم الملكة الأم اكتسب ما يفعله من قربه من الملكة (أمنح – حتب)

قطب أحمس حاجبيه في غضب وهو يتطلع في حدة إلى الخادم إيوف قائلا:

-هل تمنعني من لقاء الملكة يا إيوف؟

رد إيوف في صرامة:

-إن الملكة في مخدعها الآن وهي في حالة حداد على قطتها المقدسة وقد اقتصت حاجبيها وأنت تعلم أن للأمر قداسته أيها القائد وقد أمرت بألا يزعجها أحد.

توتر أحمس بن أبانا فهو يعرف أن الوقت هو عدوه الأول فتقدم تجاه (إيوف) وما إن تقدم خطوتين حتى تحرك الجنود في قلق وهم لا يدرون ماذا يفعلون وقد تحركت أيديهم على مقابضها

فحماية الملكة من مسؤوليتهم حتى وإن كان القادم قائدهم الأعلى وبطلهم الأشهر (أحمس بن أبانا)

شعر أحمس بحركتهم وما هم فيه من حيرة فتوقف فجأة وهو يوجه حديثه إلى الخادم إيوف في لطف قائلا:

-أخي إيوف أريد مقابلة الأم "أمنح حتب" في أمر جلل.

كانت نظرات الرجاء في عيون أحمس بن أبانا مما لم يره الخادم "إيوف" من قبل في عين قائد الانتصار على الرعاة فصمت قليلا وكأنه يدير الأمر في رأسه ثم دلف إلى بهو القاعة الملكية وأحمس يفرك يديه في عصبية محتدة ومر الوقت ثقيلا متباطئا حتى ظهر (إيوف) آذنا له بالدخول وأشار للجنود فأسرعوا لفتح الباب وهم يدعون الإله آمون لأنه لم يختبرهم في ذلك الاختيار بين قائدهم ومهمتهم الأولى في منع أحد من الدخول على الملكة "أمنح حتب"

دلف أحمس بن أبانا إلى مجلس الملكة وقد جرده الحراس من سلاحه وما إن رأى الملكة حتى ركع أمامها وقد أحنى رأسه إلى قدميه قائلا:

-"المديح لسيدة البلاد وسيدة جزر بحر إيجه ومهدئة روع الوجة القبلي"

كان أحمس يعلم أن هذا هو لقبها بين عامة شعبها وكان يعلم تأثيرها وسلطتها على الفرعون الصغير أحمس.

أذنت له الملكة في الحديث فحكى لها سريعا ما حدث من الكاهن "تحوتي" كبير الكهنة

مع مساعد الكهنة "تى" ومن إلقائه له في متاهة التماسيح.

نهضت الملكة في بطء والجواري العاريات الكاسيات إلا من غلالة رقيقة تحيط بوسطهن يساعدنها في جمع شتات ملابسها وهي تقول:

-أليس هو ذلك الكاهن الغريب الذي شارك بسحره في علاجي يوم أن قضيتم على ثورة ذلك النوبي "عاتا"؟

أردف أحمس وهو ما زال راكعا أمامها:

-أدام آمون عمر مولاتي نعم هو كما أنه كان له دور كبير في علاج مولاتي (أحمس نفرتاري)

أومأت الملكة برأسها ثم أسرت بعدة كلمات لخادمها الأول "إيوف" الذي أشار لحراس الملكة فتحركوا مسرعين تاركين القاعة الملكية وتراجع أحمس مطاطئ الرأس حتى وصل لباب القاعة وأدار وجهه مبتسما وعيناه بارقة.

الفصل الحادي عشر

تلفتت سهام حولها في قلق وهي تمسك يد ابنها في قوة وكأن أحدهم سيختطفه منها وهي تسير في أحد شوارع الأقصر ذاهبة لشراء حاجياتها استعدادا للسفر إلى القاهرة.

كانت قد اتخذت قرارها بالعودة إلى والدتها بالقاهرة بعد الأحداث التي تعرض لها ابنها (هشام) فقد غلبت عاطفة الأمومة عاطفة حبها وعشقها لزوجها تناست كل شيء إلا ذاك الصغير.

شعرت أن وجوده هنا في الأقصرقد..... توقفت أفكارها عند هذه اللحظة وهي تمر أمام سور معبد الكرنك الذي بدا شامخا مهيبا مخيفا. فأشاحت بوجهها بعيدا وهي تسرع الخطا ولم تلحظ أنها تجذب ابنها في عنف حتى يجاري خطواتها ولكن نظرات الناس المستنكرة إليها جعلتها تشعر بما تفعل فتباطأت خطواتها وهي تتحاشى النظر إلى ذلك المعبد الملعون.

وفجأة تسمرت خطواتها ووقع كل ما تحمله بيدها اليسرى وهي تسمع (هشام)

يقول: أبي يعيش هناك يا أمى.

التفتت سهام إلى ابنها وهي تقول في هدوء مصطنع حتى لا تخيفه:

-لماذا تردد هذه العبارة كثيرا يا (هشام)؟! هل تعلم مكان أبيك

فعلا؟ أرحني يا ولدي... أخبرني فأنا أمك ولماذا قلت: يعيش؟!

تطلع الصبي إلى ما خلفها في براءة وهو يشير نحو نقطة عمياء خلفها:

-هو هناك يا أمى.

وبلعت سهام ريقها في قوة ونظرت خلفها وهي تتأمل المعبد وتضاعفت حيرتها وهي تجمع شتات نفسها لتعود مسرعة إلى الفندق وهي تحمل (هشام) بيد وحاجياتها بيد أخرى لاهثة في عنف وقد بدأت العاصفة تشتد لتعيد موجات الأحزان والمخاوف بقلبها وكأن الزمن تكور على نفسه لتعود الأحداث منذ كانت من خمس سنوات ماضية فقد بدأت العاصفة تشتد لتشبه تلك العاصفة التي اختفى معها نصفها الآخر محمود.

أغلقت باب حجرتها في حرص شديد ثم وضعت (هشام) بفراشه وقد بدا أن النوم يغالبه وما هي إلا دقائق وكانت سحب النوم قد غطت عينه فاستغرق في نوم عميق.

بدأت تدور في الحجرة وهي تحاول ربط الأحداث بعضها ببعض وقالت لنفسها وقد اعتادت على أن يكون رفيقها نفسها منذ اختفاء محمود وإلا اتهمها الجميع بالجنون: نعم (هشام)

ينتقل زمنيا ولم لا؟ ولكن كيف لطفل صغير كيف؟! كيف؟!

بدأت تردد الكلمة في حركة غريبة وهي تتابع تحركها في الحجرة كأسد في قفص حديدى ورأت أن تهاتف عمها مرة أخرى عله يدلها على أحد أساتذة الفيزياء أو الفلك علها تجد ما يرطب قلبها وتفهم منه تفسيرا مقبولا لحالة ابنها.

أجرت اتصالها داعية أن يكون مستيقظا وجاء صوته على الهاتف متلهفا وهو يطمئن عليها فردت في سرعة قائلة: عمي أريدك أن توصلني بأحد زملائك في الفيزياء الكمية.

رد عمها ساخطا: الآن انتقلنا إلى الفيزياء بعد أن درسنا التاريخ الفرعونى. يكفيك ما تفعلينه في الأقصر إن أمك تكاد تموت قلقا عليك وهاتفك دائما مغلق ماذا يحدث يا سهام؟

حاولت سهام أن تجعل صوتها هادئا وهي ترد على عمها في بطء:

-يوم يوم واحد فقط وسأعود يا عمي أعدك بهذا ولكني أحتاج بشدة إلى أن أتواصل مع أحد أساتذة الفيزياء أرجوك يا عمى.

تنهد الدكتور (أحمد) في يأس وصمت لحظات ثم أردف قائلا:

-حسنا... أهي استشارة فيزيائية بسيطة أم.....

صمت وهو لا يدري ماذا يقول فبادرته سهام في سرعة:

-أريد عالما لا أستاذا هل تفهمني يا عمي؟

تلاعب الصمت لحظات عبر أثير هاتفها حتى أجاب عمها:

-ولكن ما تحتاجينه الآن انتقل إلى وكالة ناسا.

وأكمل في سرعة:

-هو مصري بالطبع... سأوصلك معه عبر سكايب.

أغلقت سهام هاتفها دون أن تبالي بمراعاة ما فعلت. أسرعت إلى حاسوبها الشخصي وما هي إلا دقائق حتى كانت على اتصال بالدكتور: عمرو حمدي

كانت فقط تريد فقط سماع جملة (أن السفر عبر الزمن احتمال موجود حتى وإن كان نظريا) وكان رده الاستنكاري واضحا في قوة ولكن سرعان ما غلبته الطبيعة العلمية فبدأ يردد لها بعض النظريات التي تتحدث عن القابلية للإبحار في نهر الزمن.

وما إن وصل إلى تلك النظرية التي تسمى "الأوتار الكونية" حتي انتبهت في قوة وانحنت أمام الحاسوب وهي تستمع لتلك النظرية العجيبة في صمت ابتلعها في شدة.

لم تقاطع سهام الدكتور عمرو وهي تحاول الربط بين ما يقوله

والأحداث المحيطة بها منذ لحظة اختفاء زوجها حتي جاء صوت الدكتور أحمد عاليا هذه المرة وهو يقول:

-ولكن يابنتي كل هذه مجرد نظريات لم تلق قبولا على أرض الواقع فقد اعتمد العالم "إدوارد ويتن" وهو صاحب أقرب النظريات المقبولة على نظرية النسبية لآينشتين وكل هذا غير قابل للتحقق.

صمت لحظات وهو ينتظر منها إجابة ما فشكرته في لطف وأنهت المحادثة.

كانت كل ما تملكه سهام تلك النظريات التي لم تلق قبولا في الأوساط العلمية وهي نظرية "الأوتار الكونية" للعالم "إدوارد ويتن" ومفادها أن هناك أجساما تخلفت عن الانفجار الأعظم لها طول يقدر بمئات السنين الضوئية ولكنها دقيقة جدا إلى حد انحناءة الزمكان حولها.

فإذا تقابل وتران كونيان يسير أحدهما عبر الآخر بسرعة الضوء تقريبا يتكون منحنى مغلق للزمكان يستطيع معه ذو القوة العقلية العالية اتباعه للسفر إلى الماضى.

قالت سهام بصوت عال وهي تحادث نفسها: ولم لا؟ وقد تكون تلك العاصفة قد جلبت تلك الأوتار الزمنية الكونية

واستطاع (هشام) الصغير مع قواه العقلية أن ينقل أباه محمود إلى زمن أحمس بملامسته جبهة (هشام) يوم اختفائه المشؤوم دون أن يقصد،

ثم إن العاصفة التي تحدث عنها خبراء الأرصاد قالوا بأنها لم تتكرر على مصر إلا من خمس سنوات.

ردت سهام على نفسها قائلة وهي تدور في حجرتها وقد بدأت الخيوط تتماسك بين أصابعها: إن الخبراء يقولون بأن تلك العاصفة ستتوقف الساعة الثانية عشرة ليلا ولو صح استنتاجها فإن كل ما تحاول فعله لن يكون بذي فائدة بعد الساعة الثانية عشرة..

ولكن هل يستطيع (هشام) إن كان له القدرة على السفر أو نقل أحدهم إلى الماضي أن يعيد أحدا من الماضي للمستقبل؟

صمتت قليلا وقد أفزعها هذا الخاطر مع وصول كل التساؤلات إلى مرحلة الفهم

فقالت في توتر وهي تسمع نفسها بصوت عال: إذا كان (هشام) هو من نقل أباه وهو طفل صغير فلم لم يعده؟

توقفت عن حركتها الدائرية وقد بدأ الأمر يتكشف تدريجيا

لعقلها الثائر بالأفكار والاستنتاجات على الرغم من أن ما بدا لعقلها أنه أقرب الحلول كان كأبعد ما يمكن لأي عقل بشري توقعه أو تقبله.

انعكس البرق على وجهها في هذه اللحظة وزخات المطر تزيد توترها حدة فتطلعت إلى ساعتها في قلق بالغ، كانت تعلم وفق ما قاله خبراء الأرصاد أن تلك العاصفة الغريبة المصحوبة بكل ذلك ستعبر سماء مصر في منتصف الليل أي بعد ساعتين من الآن وبعدها ستصبح كل محاولاتها في استعادة زوجها بلا جدوى.

ولو صح استنتاجها فإن عليها أن تكون قبل مرور الساعة الثانية عشرة صباحا في قلب ذلك المعبد الملعون.

أسرعت لإيقاظ ابنها الصغير وهي تدعو الله أن يكون ما يدور في عقلها صحيحا.

توتر قلبها في شدة وهي تتذكر ذلك النزيف الأنفي الذي لازم ابنها (هشام) في تلك الفترة ولو صح ما تقوله فيبدو أن ذلك الانتقال الزمني يصيب ابنها بالضعف وأن صغيرها لا يعلم ما يدور له أو.....

توقفت أفكارها فتوقفت يداها وهي تساعد صغيرها على ارتداء ملابسه وهو يتطلع إليها في خمول لم يمنع عيونه الصغيرة من

التطلع لوالدته في نظرات ثابتة طالما تعجبت منها سهام وإن بدا لها الأمر طبيعيا الآن.

بدت كالمجنونة وهي تقف جوار فراش (هشام) قائلة بصوت مرتفع حمل كل تساؤلاتها التي تدورها داخلها: كبر كان جبل (يا صور) الذي لا يهدأ أو لا يمل.

كان عليها أن ترتب أفكارها واستنتاجاتها فحياة ابنها على المحك وأملها في استعادة زوجها يطغى عليها.

التفتت سهام ملهوفة لابنها وهي تعاود الجلوس على طرف الفراش فقالت وهي تحدق عيني ابنها مباشرة: (هشام) أنا أعلم أنك تفعل أشياء لا تجد لها تفسيرا وأعلم أنك تجد نفسك أحيانا في أماكن لا تعرفها أنا أتفهم يا ولدى. أعلم أنك من نقلت والدك إلى زمن الفراعنة وأنك تشعر بالذنب على ذلك.

ارتفع حاجبا (هشام) وهو يحتضن قدميه بذراعيه وجعلهما متكأً لرأسه وهو ينظر إلى جانب الحجرة وكأنه يتحاشى النظر في عينيها.

استدركت سهام قولها وهي تعيد وجهها تجاهها في هدوء: أنا أعلم أنك تحب أباك يا (هشام) على الرغم من أنك لم تره.

وكان رده كالصاعقة التي هبطت على شجرة يتيمة فأحرقتها

من جذورها وهو يقول في بطء: لقد رأيته كثيرا يا أمى. ولكني لا أعلم كيف أعيده.

ابتلعت سهام ريقها في صعوبة وقد صدمتها عبارة صغيرها وقد بدأت تذكر مرات اختفاء (هشام) اللا مبررة وبقايا الطمي على قدميه.

أو ذلك اليوم الذي كان فيه مبللا و.....

انتفض جسدها في ذعر وغامت ملامح الحجرة وتطلعت في لوعة إلى صغيرها بعد أن فاجأها (هشام) بقوله: لقد قتل كهنة فرعون والدي يا أمي.

ثم استدرك في سرعه: ولكني عدت..... عدت يا أمي. أنقذت أبي أعدت الوقت له ورجعت به زمنيا ولكني لا أعلم. لمَ أفشل في العودة به هنا؟!

ولكني، ولكني، بدأ يرد العبارة في خوف طفولي وكأن يحمل شخصين بداخله كيف يمكن لطفل في السادسة من عمره أن يتحدث كالرجال ثم يعود في لحظة واحدة لطفل صغير شعرت بالصراع الذي يدور بداخل ابنها طفل بقوة الزمن وكأنما شخص أعطاه فجأة زعامة الدول حول العالم دون أن يكون له بالسياسة شأن. كل قوى الدنيا بيد براءة صغيرة لا يتجاوز عمرها شيئا في تيه

الزمن فيا لسخرية الأقدار. يا ألله لحال تلك البراءة التي تحمل ما يمكن أن يدمر عالما بزيارة واحدة إلى الماضي.

لم تجد منفذا لبؤسها إلا أن تردد قوله تعالى:{إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون}

وما إن قالت عبارتها حتى برق ذهنها في قوة وتطلعت في عيون صغيرها قائلة:

-إنها العاصفة يا ولدي لا يمكن أن تعيد والدك إلا بوجود الأوتار الكونية في السماء.

تطلع إليها الصغير في حيرة فأردفت قائلة في سرعة وهي تتحرك في سرعة وتساعده في ارتداء ملابس ثقيلة:

-نعم إن تلك العاصفة تجلب الأوتار الكونية لسطح كوكب الأرض الآن يا (هشام) الآن نعيد أباك وإلا فلن تواتينا الفرصة مرة أخرى.

وحانت منها نظرة إلى عقارب ساعتها في قلق وقد بلغت الساعة العاشرة مساء ودق قلبها في عنف ودوي الرعد يقطع الصمت والبرق ينعكس في قوة على وجهها واقترب الأمل.

******

وقف محمود على طرف تلك البحيرة الخضراء ورائحتها الكريهة عالقة بكل أنحاء جسده وهو لا يصدق نجاته من أنياب ذلك التمساح الضخم ونظر إلى ضوء النهار المنبعث من فتحة دائرية في الجدار الموجود بآخر الممر الصخري أعلى البحيرة المستنقعية والتي تشبه الكوة تتسع لمرور رجل في بساطة فتحرك متثاقل الخطوات وقد خارت قواه تماما فاستند على الجدار وقدمه تؤلمه في شدة وعقله يأبى في شدة أن يكون كهنة فرعون قد اكتفوا بما مر به من أخطار. كان يعلم تماما أنهم لن يسمحوا له بالخروج حيا من متاهتهم الكهنوتية المميتة. يعلم أخاديعهم وما يوهمون به الناس من سحر وشعوذة.

أغلق عينيه مرة أخرى وهويسترجع مشاهد نجاته من تلك الغرفة وما هيئ له من رؤيته لذلك الطفل الصغير في ذلك السجن المائي وبدا له أن عقله الباطن هو من صور له من يحذره بطفل صغير يأتيه كملاكه الحارس يحميه بسبب ارتباطه الشديد بذكرى ابنه (هشام) وما إن وصل بأفكاره إلى هذه النقطة حتى ابتسم في حسرة وهو يتخيله جاريا عابثا وعرف أن قدره هو السجن بعيدا عن عائلته بآلاف السنين.

بدأ يعض شفتيه بنواجذ الندم وهو يحاول مرارا وتكرارا فهم ما حدث له دون فائدة وانتابته الحيرة حيال عدم تدخل صديقه

وأخيه أحمس بن أبانا ولكنه هز رأسه مرددا لنفسه: وهل يملك أبانا شيئا مع سيطرة كهنة آمون على عقل الفرعون أحمس فما هو إلا كاهن صغير لا يستحق عناء اهتمام الملك به.

انتبه في شدة وتحفزت عضلاته المنهكة وقد خيل إليه أنه يسمع صرير باب حديدي يفتح وصوتا يشبه فحيح القطط فبدأ يتلفت حوله يدير عينيه محاولا اختراق ظلال المشاعل المتراقصة فتوقفت قدماه فجأة بعد أن استجابت في سرعة لنبضاته العصبية العقلية بعد أن التقطت أذناه حركة مريبة خلفه ودق قلبه في قوة وأبى مع كل ما لاقاه أن يلتفت خلفه وكأنه يخشى أن يئن قلبه رعبا فيتساقط دون أي قدرة على المواصلة فأسرع الخطى وقد خر قلبه ضعفا وهوانا وفقدت عقده العصبية القدرة على الاستجابة لكل تلك الضغوط

وتسمرت خطواته فجأة ونظراته ترتطم بأكثر ما يفزعه في الدنيا. عشرات الثعابين تلتف حول بعضها في حفرة منخفضة ممتدة بعرض الطريق الصخري على بعد خطوات قصار من آخر أمل له في الخروج لنور الحياة والنجاة مما هو فيه.

لم يجد محمود إلا الالتفاف حوله في أمل عله يجد منفذا آخر خلفه، وما إن نظر خلفه حتى قفز رعبه إلى أعلاه وهو يرى ذلك الفهد الأسود يتطلع إليه بعيونه اللامعة وهي تحمل رائحة الموت.

لاحت منه نظرة إلى البحيرة المستنقعية وهو يتذكر صراعه مع ذلك التمساح الرهيب

ابتسم في سخرية مريرة وهو يرتمي على الأرض مستندا بظهره إلى الحائط وقد استسلم لقدره والذكريات تهاجم عقله في شراسة وكأنها تتغذى على آلامه وتتقوى بذلك اليأس الذي أحاط به وتقدمت مخالب الموت.

******

الفصل الثاني عشر

نظرت سهام إلى عيني (هشام) وهي على باب حجرتها بالفندق وكأنها تحادث شابا بالغا عاقلا: أنا أثق بك يا (هشام) لا تخف يا ولدي أنا أعلم أنك تخشى أن تحاول إعادة أبيك فتنقله لزمن آخر كما أن الأمر يؤلمك.

قالت عبارتها وقلبها يخفق في قوة قلقا على ابنها من تلك التجربة التي يمكن أن تودي بحياة صغيرها فقد ربطت بين نزيف الأنف وقدرة ابنها على نقل جسد آخر عبر الزمن.

وعلى ما بدا لها من تفسير فإن قدرة الصغير على نقل جسد غيره من زمان إلى زمان يؤثر على قواه.

بدأ الصغير يجذب يدها في قوة وكأنه لا يخشى الأمر في شجاعة طفولية يحسد عليها وكأنها جين حيوي يتوارثه أبناء الصعيد من الجد إلى الابن إلى الحفيد فاستجابت له وهي لا تدري كيف سيمكنها الدخول إلى معبد الكرنك في ذلك الوقت وكيف ستسمح لهما الحراسة المنوطة بحماية هذا الأثر.

المهم العبور من خلال الأبواب.

حملت صغيرها وهي تخرج من باب الفندق المواجه لنهر النيل ثم تحركت يمينا سائرة لتنحرف مع أول شارع يقابلها

يمينا وعلى يسارها ذلك المشفى اليوناني لتواجهها أطراف المعبد فأسرعت حاملة ابنها. عبرت الطريق الخالي لتجد نفسها جوار سور حديدي صغير.

تلفتت حولها في عجب وقد لاحظت لأول مرة أن السور المحيط بذلك الأثر الهام يسهل على طفل صغير أن يجتازه ليعبث كما يريد بما هو داخل المعبد.

عبرت سهام السور وتحركت حثيثا حاملة طفلها في عنف وهي تتطلع إلى الساعة وقد اقتربت من الثانية عشرة ولاح لها بهو الأعمدة غامضا مخيفا كأنها مجموع من الأشباح الطُّوال تنظر إليها في ترقب وصمت وذلك البرق الراعد يشملهما كغناء جنائزي.

وصلت سهام إلى نفس المكان الذي اختفى فيه زوجها وأنزلت ابنها وهي تتطلع إليه في أمل ممزوج وقلق عاصف ولم يمهلها (هشام) فرصة لتوقع ما يحدث وإنما فجأة وبلا مقدمات فحيح صغيرها التقطته أذناها وشرر صغير ضاع أثره مع شرر السماء

واختفى.....

سكن ذلك الفهد وهو يرمق فريسته وكأنه لم يكن يتوقع منه ذلك السكون والاستسلام السريع ومحمود قد أسلم نفسه لساقية أقداره مغلقا عينه وصورة زوجته وطفله الذي لم ينس يوما ملامحه. تحرك الفهد في بطء وحذر وكأنه يدرس فريسته قبل أن ينشب أنيابه فيها وقد أخذ قراره بالفتك بفريسته. وما إن اقترب منه حتى فوجئ الاثنان بفحيح غريب التقطته أذن محمود فتوتر وفتح عينيه في قوة وانتفض كلاهما في عنف الفريسة والمفترس فمع ذلك الفحيح شعر محمود بجسد بشري يلامسه ففتح عينيه ليفاجأ بطفل صغير يقف إلى جواره واضعا يده على رأسه ولم يطل تردد الفهد فقد غلبته غريزته الوحشية فوثب نحو الفريستين ولمع ضوء واشتد الفحيح وقفز الفهد ليرتطم بالفراغ الناشئ عن وجود محمود وذلك الطفل الصغير اللذين اختفيا فجأة لترتطم رأس الفهد في قوة بأرض الممر الصخري الخالي تماما وهز رأسه في ألم واضح وهو يدور في حلقات وكأن عقله الحيواني يحاول أن يبرر ما يحدث دون فائدة.

وفي نفس اللحظة انزاح جدار الحائط ليظهر وراءه أحمس بن أبانا وخلفه عدد من الجنود الذي يحملون الرماح والسهام

وواجهوا الفهد في شجاعة بأسنة رماحهم حتى أعادوه إلى قفصه والذي يبدو أنه فتح عمدا من كهنة آمون في الجانب البعيد المظلم من طرف الممر المواجهة للكوة التي يشع منها النور حتى أعادوه إلى قفصه واستمر البحث عن الكاهن (تي) دون جدوى واختفى وسط آلاف من التساؤلات المصحوبة بالحيرة حول مصيره خاصة أنه حتى لو التهمه التمساح أو الفهد فأين هي بقاياه؟!

دق قلب أحمس حزنا على رفيقه وتطلع في قسوة للكاهن تحوتي الذي كان يسير بجانبه حتى وصلا إلى القاعة الفسيحة والتي يطلق عليها اليوم بهو الأعمدة.

قال الكاهن "تحوتي" للقائد أحمس بن أبانا في خبث واضح:

-لا تحزن عليه أيها القائد أحمس لو كان الكاهن " تي" رسول آمون كما تدعي لاجتاز اختبار الكهنة ووجدناه هنا معنا حيا يرزق.

رد أحمس بن أبانا في سخرية وكأنه يتعمد إغاظته:

-ولكننا لم نجد أثرا لهز

قطب "تحوتى" وجهه وقد راوده نفس الخاطر ولكنه أجاب متعمدا:

-يمكن أن يكون ذلك التمساح قد التهمه تماما ولم يتبق منه شيء.

نظر إليه القائد أحمس بن أبانا طويلا ثم أشاح بوجهه قائلا:

-لقد رحل الكاهن "تى" عاد إلى السماء كما هبط منها.

أرفق أحمس جملته بنظرة طويلة إلى السماء المكشوفة ثم أردف قائلا: يا سماء آمون بلغي أخي "تى" أن أحمس رفيقه لم يألُ جهدا في إنقاذه. وداعا يا رسول "آمون رع".

النهاية

لمح أحد حراس معبد الكرنك حركة مريبة وهو يتحرك في دوريته المعتادة خاصة أن الكاميرات لم تكن ذات جدوى في ذلك الجو العاصف.

أضاء مصباحه اليدوي وبدأ في التنقل من عمود إلى آخر وسهام تسرع للاختباء خلف أحد الأحجار الضخمة وقلبها يدق في قوة وعقلها يعجز عن الاستمرار في التفكير وأوصالها تئن تحت وطأة السهر المتتالي لعدة أيام وعاطفتها ممزقة وقد شعرت بذنب رهيب في إرسالها لابنها لذلك الجحيم الزمني.

انسابت دموعها وانسحبت أنفاسها وهي تتخيل ماذا يمكن أن تفعل إن اختفى صغيرها (هشام) أيضا.

وفجأة وبلا مقدمات تصاعد فحيح في أرجاء المكان ظهر واضحا مع قرب انتهاء العاصفة وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة.

وما إن سمع الحارس ذلك الفحيح حتى أسرع مبتعدا وهو يسقط على الأرض ثم يقفز واقفا وكأنما تطارده وحوش الدنيا وهو يتلفت خلفه في رعب.

أما سهام فقد انتصبت واقفة وهي تتطلع محاولة اختراق حجب الظلام ولمع ضوء خلف أحد الأعمدة فأسرعت

مهرولة وما إن استدرات مع استدارة ذلك العمود اللوتس حتى وقف قلبها وقد ضربته صاعقة بألف فولت. فهناك خلف العمود اللوتسي الضخم كان هناك زوجها محمود مرتديا تلك الملابس الفرعونية عاري الصدر تماما وهو يحمل (هشام) متلفتا حوله في ذهول وعدم تصديق.

نزيف من أنف (هشام) أفزعها بشدة فأسرعت لابنها فتراجع محمود في ملابسه الفرعونية حتى التصق بذلك العمود الضخم وهو ينظر لزوجته كأنها أحد أحلام الواقع التي كان يعيشها كل يوم.

لم يدم لقاء الأعين سريعا فسحقت عواطف الأم داخلها مشاعرها كأنثى تجاه زوجها فأسرعت نحو طفلها ملتاعة القلب تخاف كل الخوف أن يكون مكروها أصاب ابنها.

كان (هشام) فاقد الوعي وكان الشعور بالذنب يحيطها وعلمت أنها لن تسامح نفسها أبدا إن أصاب صغيرها شيء.

ولكن لم تمض دقائق إلا وفتح الصغير عينيه وهو يقول في براءتة المعهودة: لقد أنقذت أبي يا أمي.

احتضنته الأم في شدة وتطلعت إليه وهي تملأ عينيها منه ثم التفتت إلى محمود الذي وقف مبهوتا وهو لا يفهم شيئا.

ساعدت سهام ابنها على الوقوف واتجهت لزوجها الذي امتدت يداه يتحسس ملامحها

وملامح الصغير بيديه وكأنه يتأكد أن ما يحدث ليس حلما عابرا واتجهت أنظاره نحو زوجته وألف من علامات التساؤل ترتسم على وجهه ونظراته فأردفت سهام: لم أكن أتوقع أن يأتي هذا اليوم قط.

قال محمود.: ولكن كيف يمكن....

قاطعته سهام قائلة: سأشرح كل شيء ولكن لا بد أن نرحل الآن.

تطلعت حولها في قلق وبقايا من زخات مطر تغطي ثلاثتهم في مشهد إنساني مهيب يبرز أقوى عواطف الوجود في قلب البشر.

استند محمود على جسد زوجته وقد خارت قواه وسهام تتطلع حولها وكأنها تخشى أن ينتزع منها ذلك المعبد أحد قطبي قلبها مرة أخرى ورفعت رأسها إلى السماء شاكرة وهي لا

تكاد تصدق أن القدر جمعهم مرة أخرى بعد أن فرقتهم آلاف السنين

******

تجمع السائحون بمعبد الأقصر متطلعين نحو لوحة جدارية تحكي قصة أحمس وصراعه مع الهكسوس وجذب انتباه أحد السائحين لوحة جدارية تبدو مختلفة عن باقي الجداريات

فاتجه بالسؤال إلى مرشده مستفسرا فرد المرشد في سرعة ومهارة واضحتين: إنها تحكي عن قصة الصداقة بين أحمس بن أبانا وكاهن فرعوني مغمور ليس بذي شأن يدعي " تي".

فرد السائح: وما المخطوط تحتها؟

رد المرشد في لهفة وكأن فضول السائح يستهوي حصيلته التاريخية: إنها عبارة هيروغليفية تعني كما جاء رحل.

أومأ السائح برأسه معجبا ولكن سرعان ما تحرك الفوج بين أرجاء المعبد مبهورين بالحضارة التي بهرت العالم منذ آلاف السنين وما زالت.

تمت بحمد الله